

إبراز المعاني بالأداء القرآني

أ.د/ إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري

أستاذ كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

دار احضارة للنشر والنويع

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، فأحسن نطقه وبيانه، وأنزل القرآن على عبده ورسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لتبينه وادّكاره، ويسره بلسانه، واختاره لأدائه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين نالوا الشرف باستماع القرآن رطبا غضا، ورتلوه بحُرِّ أنفاسهم حرفاً حرفاً، فحازوا معانيه علما وعملا، وفازوا بوعده مكانة وعزا، رضي الله عنهم وعن أئمة القراءة، أولي الرواية والدراية، أما بعد :

فإن الأداء – وهو فن النطق السليم – قد استحوذ بلا شك على اهتمام فائق في هذه الآونة، وقد احتل مكانا مهما في التعليم الحديث في علم الأصوات وفن الإلقاء وأساليب الاتصال.

والحق أن الأداء قد ألقى بجرانه في جذور التاريخ من خلال الوجوه اللغوية وأطوارها التي مرت بها، بيد أنه اكتسب لونا جديدا في الوقت الراهن بتأثير النظريات التي هُدي إليها اللغويون في العصر الحاضر. ويعدّ إبراز المعنى عبر الأداء أحد العوامل الفاعلة التي أدت إلى تنمية أساليب الأداء المتعددة، بل هو أساسها، ذلك أنه الغاية المنشودة في كل كلام.

كما يعدّ كل من علم التجويد وعلم القراءات من العلوم التي أثرت بَعْناء في هذا المضمار، لما يمتاز به أداء القرآن الكريم من فضاءات واسعة وخصائص عليّة تعجز عنها سائر الأداءات كافة، حتى أصبح إطلاق علماء الأداء لا ينصرف إلا لعلماء التجويد والقراءات خصيصي

لهم دون غيرهم من رجال العلوم الأخرى.

ولقد عني الألى بالصوت والوقف والابتداء وغير ذلك مما له صلة بأداء القرآن الكريم في عدد من علوم القرآن، ونصوصهم في ذلك مبنوثة في تضاعيف المؤلفات، ومعمول بها في مجال التلقي والمشافهة عند المهرة والحدائق، غير أنها ليست مجموعة في كتاب واحد يلمّ ما تفرق من أشتاتها ويقرب ما بُعد من شواردها، ومن ثم جاء هذا البحث ليقوم بإيضاح مفهوم الأداء ومقوماته الأساسية وخصائص أداء القرآن الكريم وضوابطه وغاياته وظواهره.

ومن الله استمد العون، وهو يهدي السبيل.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهميته من حيث ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، وتناوله جانباً مهماً وحيوياً في تلاوة القرآن الكريم، إذ يُعنى بمرتبة الإحسان في أدائه الجامعة بين المهارة في أداء الحروف والغوص في معانيها والتبحر في مقاصدها، وذلك بمراعاة الوقف والابتداء وحسن التعامل مع أصوات الحروف بلطف وشفافية تشعر السامع بالمعنى وتخلص إلى شغاف قلبه بأنوار الهداية.

فإذا جاءت القراءة بتلك الكيفية وفق الصفة المتلقاة عن الرسول عليه الصلاة والسلام وأئمة القراءة تحقق المقصود منها، وكانت مغرية على اتباع ما تضمنه أي الذكر الحكيم من التوجيه الكريم.

ولئن كان التعرف على الأداء ومراعاته للمعنى مطلباً في كلام البشر فهو في تلاوة القرآن أحق وأولى.

ولئن اتجهت الدراسات الحديثة صوب اللغات على مختلف مشاربها فإن دراسة لغة القرآن الكريم – ولا سيما طريقة الأداء – أخرى بأن تنتج إليها جهود الباحثين للكشف عن أسرارها وخفيّ إشاراتهما، إذ ندر اتجاه البحث في هذا المجال، وفات خير كثير بإغفاله.

أسباب اختيار البحث:

- الإسهام في تحقيق المقصد الأسمى من نزول القرآن الكريم، وهو التدبر لمعاني كلام الله تعالى وتذكّره.

- التنويه بتلاوة القرآن في وسائل الدعوة، فلا جرم أنها كانت أولى أساليب التبليغ – وهي أولها في كل زمان – لأن القرآن هو المعجزة الكبرى في الإسلام.
- ما لوحظ من بعض القارئيين ممن يرومون إبراز معنى بعض الآيات دون مراعاة لقواعد حسن الأداء فضلاً عن أصول فن المحادثة والاتصال في حين نجد آخرين لا يراعون من يستمع إلى تلاوتهم فتأتي قراءاتهم باردة لا روح فيها.
- حاجة كل من قارئ القرآن الكريم والمستمع إليه إلى اتخاذ الوسائل الناجعة لبلوغ الكمال في تلاوة القرآن الكريم على الوجه السديد الذي تتوفر فيه صحة الأداء وسلامته من اللحن ويمتاز بالقدرة على التعبير عن المعنى المراد، فيحصل حينئذ الامتثال عند القارئ والمستمع.
- الشعور بأهمية تزويد المكتبة القرآنية ببحث مستقل يختص بدراسة هذا الموضوع.

هدف البحث:

بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، وأثره في التعبير عن المعاني المقصودة في أي الذكر الحكيم، وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

الدراسات السابقة:

يعتمد هذا الموضوع اعتماداً كبيراً على التلقي والمشافهة، وهو لا يزال - بحمد الله - معمولاً به عند حذاق المقرئين ومهرة القراء، وقد ألمح إليه السابقون في مصنفاتهم، ومن نصوصهم في ذلك:

- ما جاء عن التابعي الجليل إبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦هـ) أنه قال: «ينبغي للقارئ إذا قرأ نحو قوله تعالى: $\text{سَبَّحْتَ الْعِزَّاتِ}$ ونحو ذلك من الآيات أن يخفض بها صوته»^(١). قال ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عقب هذا النص: «وهذا من أحسن آداب القراءة»^(٢).

- قال الحافظ أبو العلاء الهمداني (ت ٥٦٩هـ) في سياق حديثه عن

(1) سورة التوبة، الآية: ٣٠.
 (2) غاية النهاية لابن الجزري ٣٠/١، ولمزيد من الاطلاع على نصوص أخرى مشابهة يراجع كتاب الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ص ٨٠.
 (3) غاية النهاية لابن الجزري: ٣٠/١.

اللحن في القرآن الكريم: «وأما الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولى الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات، وحدود المُمالات والمُلطّفات^(١)، والمُشبعات والمُختلسات^(٢)، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام والحذف^(٣)، والإتمام والرّوم والإشمام^(٤)، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتفقد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط، على ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام من أمره أصحابه - رضي الله عنهم - بذلك في قوله: «استقروا القرآن من أربعة»^(٥)، قال الحافظ ابن حجر

- (1) الإمالة: تقريب الفتحة من الكسرة والألف من الياء، والتلطيف نوع من أنواع الإمالة، وهو المعروف بالتقليل، وبالإمالة الصغرى، وحدّه أن ينطق بالحرف المقال بين الفتح والإمالة، ولذلك يعرف بـ«بين بين». انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٣٠/٢.
- (2) الإشباع: أن يؤتى بالحركة كاملة على هيئتها، ويقابله الاختلاس وهو النطق ببعض الحركة وصلاً. انظر شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء للداني، ص ٣٢٥ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، ١٢٦/٢.
- (3) الإشباع: أن يؤتى بالحركة كاملة على هيئتها، ويقابله الاختلاس وهو النطق ببعض الحركة وصلاً. انظر شرح قصيدة أبي م.احم الخاقاني التي قالها في القراء وحسن الأداء للداني، ص ٣٢٥، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ١٢٦/٢.
- (4) الحذف: إلغاء الحرف دون خلف له، ويعبّر عنه بـ(الإسقاط). انظر النَّشر في القراءات العشر لابن الجزري ١٤٣/٢ والإضاءة في بيان أصول القراءة للضَّبَّاع، ص ٣١.
- (5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي x «باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنه»، ص ٦٣٢ رقم الحديث (٣٧٥٨) وفي باب

(ت ٨٥٢هـ): «وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم: إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له وأتقن لأدائه، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وتصدوا لأدائه من بعده، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم، لا أنه لم يجمعه غيرهم» (١).

• قال برهان الدين الزركشي (ت ٧٦٤هـ): «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازل، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها..» (٢).

• ما ذكره السيوطي (ت ٩١١هـ) في الدر المنثور أنه «يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: ﴿يَرْفَعُ صَوْتَهُ﴾ (٣) يرفع بها صوته».

وثمة أقوال أخرى لا يستوعب المقام ذكرها، ولقد تضمنت مصادر علوم القرآن ولا سيما القراءات والتجويد والوقف والابتداء نصوصاً قيمة

«مناقب عبدالله بن مسعود وأمه - رضي الله عنهما»، ص ٦٣٢ رقم الحديث: ٣٧٦٠، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الفضائل، «باب من فضائل عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه» ص ١٠٨٣ رقم الحديث (٦٣٣٨)، وهو في التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني ٢٣٧، ولمزيد من الاطلاع على نصوص أخرى نحو هذا النص ينظر الموضح لابن أبي مريير الشيرازي، ١٥٩/١.

(1) فتح الباري: ٢٥٣/١٤.
 (2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٤٥٠/١.
 (3) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.

ودراسات متفرقة في هذا الموضوع، ولا جرم أنها الرافد الثر لهذا البحث. ولم أظفر بدراسة مستقلة توفّي هذا الموضوع القرآني حقه من أهم أبعاده، فلعل هذا البحث يفي بالغرض المقصود، معاذ الله أن أدعى لنفسي أنني سأقول في هذا الموضوع شيئاً لم أسبق إليه، فإن علماء القرآن قاموا بجهود عظيمة، ولم يدعوا لمن بعدهم إلا التقريب والترتيب. وسيستجلي هذا البحث – بعون الله وتوفيقه – ما طوي من الآفاق الأدائية للقرآن الكريم بعرض جديد، وفي خطوات متّدة، وعلى أساس مكين في ضوء ما انتهجه أسلافنا الأخيار دون استطراد فيما انتهى إليه الباحثون تجافياً عن التكرار قدر الإمكان.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وبايين وخاتمة على النحو

التالي:

• المقدمة:

وتشمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره والهدف منه، والدراسات السابقة فيه، وخطته، كما تقدم بيانه.

• التمهيد:

وسائل التعبير الإنساني.

الباب الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، ويحتوي على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** مفهوم أداء القرآن الكريم.

- **الفصل الثاني:** مقومات أداء القرآن الكريم، ويشتمل على المباحث التالية:

• المبحث الأول: المقومات الإيمانية.

• المبحث الثاني: المقومات النفسية.

• المبحث الثالث: المقومات المعرفية.

• المبحث الرابع: المقومات الصوتية.

- **الفصل الثالث:** خصائص أداء القرآن الكريم، ويشتمل على

المباحث التالية:

- المبحث الأول: التعبد.
 - المبحث الثاني: الإعجاز.
 - المبحث الثالث: التجويد.
 - المبحث الرابع: التدبر والتذكر.
- الباب الثاني:** غاية الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته، ويحتوي على ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** غاية الأداء، ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الدلالة التصويرية.
 - المبحث الثاني: الإثارة الوجدانية.
 - المبحث الثالث: الروعة الجمالية.
- **الفصل الثاني:** ظواهر الأداء، ويشتمل على المباحث التالية:
- المبحث الأول: مراتب التلاوة وأساليبها.
 - المبحث الثاني: أصول الأداء وتعدد القراءات.
 - المبحث الثالث: الوقف والابتداء.
- **الفصل الثالث:** دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة.
- الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

التمهيد وسائل التعبير الإنساني

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

وسائل التعبير الإنساني

إن التجمّع الإنساني يتطلب التفاهم بين الناس بما تبرزه ثقافته كل واحد منهم، وذلك أن الإنسان الواحد بمفرده يعجز أن يستقل بجميع حاجاته، بل لا بد له من التعاون لتبادل المنافع^(١)، أو ما سماه القرآن بالدفع في قوله جل شأنه: ﴿وَتَوَدَّ أَحْسَنُ الْبَالِغِينَ﴾^(٢).

وقد أودع الحق جل وعلا الإنسان خصائص تكفل لكل تجمع الفهم أو الإفهام، ثم نوه بها في كتابه الكريم في قوله جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا الْبَنِيَّانَ الْوَيْسَ وَالْهَادِيَينَ﴾^(٣) والبيان هو: «المنطق الصريح المعرب عما في الضمير»^(٤)، وتلك خصيصة للإنسان عن بقية أنواع الحيوان، إذا جاءت في مساق الامتتان.

وما من شيء إلا وله حقيقة في نفسه، ثم يتصوره الذهن والقلب^(٥)، ومن ثم يمكن التعبير عنه باللسان أو بالخط أو بالبنان أو تتم الدلالة عليه بالإشارة أو بالحال^(٦).

- (1) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي: ٣٨/١.
- (2) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
- (3) سورة الرحمن، الآيتان: ٣، ٤.
- (4) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل عن وجوه التأويل للزمخشري: ٤٣/٤.
- (5) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٤/١٦ والطراز ليحيى العلوي ١٢٢/١.
- (6) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٦/١ والنكت في إعجاز القرآن للرماني ١٠٦/١.

أما التعبير باللسان فيتحقق باللغة وهي: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١)، وكلما كان الكلام مقنعاً للعقل مؤثراً في الوجدان كان أسعد بياناً وأصدق برهاناً، ولن يتسن ذلك إلا بإعمال القدرات الصوتية وتلوينها خفصاً ورفعاً حسب حقائقها النفسية ومعانيها المرادة، وبذلك يصل المتكلم إلى إصابة الهدف ويفضي بالسامع إلى فهم المقاصد.

ومتى اجتمع للكلام أسباب حسن العبارة من تعديل النظم حتى يسهل على اللسان ويحسن في السمع وتتقبله النفس كان في أعلى مراتب البيان.^(٢)

وأما الخط فقد ذكره الله في أوائل ما نزل، حيث يقول الله تعالى: ¼

¼ وقال تعالى: ¼ «^(٣)، وقال تعالى: ¼ «^(٤)، ولذلك قالوا: «القلم أحد اللسانين»^(٥).

وأما الإشارة فتكون ببعض أجزاء الجسم، باليد أو بالرأس أو بالعين والحاجب وبالمكيبين أو بغير ذلك من الجوارح، كما تكون ببعض الأدوات والصور ومن التلويح بالثوب أو غيره^(٦)، وما انبساط الوجه وانقباضه إلا من هذا القبيل، وفي التنزيل: ¼ «^(٧)، أي أومأت إليه^(٨).

- (١) الخصائص لابن جني ٣٣/١.
- (٢) انظر النُكت في إعجاز القرآن، ص ١٠٧.
- (٣) سورة العلق، الآيتان: ٣، ٤.
- (٤) سورة القلم، الآية: ١.
- (٥) البيان والتبيين، ٧٩/١.
- (٦) انظر المصدر السابق، ٧٧/١.
- (٧) سورة مريم، الآية: ٢٩.
- (٨) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٢٨/٥.

وأما الحال فإنه متى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا... ولذلك قال الأوائل : سل الأرض، فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك وجني ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً^(١)، وما أحسن قول أبي العتاهية (ت ٢١١هـ):

فيا عجباً كيف يعصى الإله	—	ه أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة	علينا وتسكينة شاهد	
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد	

فهذه أساليب التعبير التي يفصح بها الناس عما تكنه صدورهم، ويختلج في خواطرهم، ولا جرم أن لكل معنى ما يناسبه من تلك الدلالات، وربما كانت الإشارة أبلغ من صريح العبارة، وربما اجتمع للمعنى أكثر من دلالة فذلك ادعى لوضوحه وأنجح.

ولهذا تضمنت كتب التجويد والقراءات إشارات وكيفيات غير اللفظ كالإشمام والوقف^(٢)، وكلاهما خارج عن اللفظ بيد أنها مفاتيح المعاني وحلية القارئ وفهم المستمع.

~ ~ ~

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ٨١/١.

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص ١٠٤.

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

٢٠

الباب الأول:

مفهوم أداء القرآن الكريم ومقوماته وخصائصه

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم.
- الفصل الثاني: مقومات أداء القرآن الكريم.
- الفصل الثالث: خصائص أداء القرآن الكريم.

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

الفصل الأول:

مفهوم أداء القرآن الكريم

أصل الأداء في اللغة الإيصال^(١)، فهو ضرب من أساليب التعبير التي سبق الحديث عنها في التمهيد.

والمتبصّر في وجوه أداء القرآن يلحظ أنها تنبثق من هذا الأصل وتؤول إليه، ذلك أن الأداء في مصطلح القراء هو النقل^(٢)، قال أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ): «ولفظة الأداء كثيرة الاستعمال بين القراء، ويعنون بها تأدية القراء القراءة إلينا بالنقل عن قبلهم»^(٣).

وعملية الأداء تركز على أركان ثلاثة: المنقول والنّاقِل والمنقول إليه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

المنقول: هو القرآن الكريم وما يتصل به من وجوه اختلاف القراءات وتجويد التلاوة، «ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه، لكن بأدواتنا وأصواتنا، وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله وسمعه منه»^(٤).

والمنقول من القرآن يصدق على ما جاء متواتراً، وعلى ما جاء

-
- (1) انظر مادة (أدى) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٧٤/١ وباب الياء فصل الهمزة من لسان العرب لابن منظور ٢٦/١٤.
 - (2) انظر كنز المعاني في شرح حرز الأمانى للجعبري عند قول الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) «مذاهب شذت في الأداء» (١٠٠/أ) محظوظ.
 - (3) إبراز المعاني من حرز المعاني في القراء السبع لأبي شامة، ص ٢٥٣.
 - (4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٥١/١٢.

صحيحاً مستفيضاً متلقى بالقبول كمراتب المد الزائد على القدر المشترك، وهذا وأمثاله ملحق بالقراءة المتواترة حكماً^(١)، وهو الذي اصطلح العلماء على تسميته في هذا السياق «بالأداء» قال الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «فإنه إذا ثبت أن شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبي عليه الصلاة والسلام كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله فإنه وإن تواتر تخفيف الهمز في الوقف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم يتواتر أنه وقف على موضع بخمسين وجهاً، ولا بعشرين، ولا بنحو ذلك، وإنما إن صح شيء منها فوجه، والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء»^(٢).

ومن قبيل الأداء التفريق حال التلاوة بين النفي والإثبات والخبر والاستفهام وأصوات «من» و «ما» ونحوهما صعوداً وهبوطاً، وهو على ذلك لا يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية والمشاهدة، إذ ليس الخبر كالمعينة^(٣).

ويطلق الأداء أيضاً على تجويد القراءة، وهو المهارة في إخراج الحروف وتوفية صفاتها، ولهذا يقال: «هو حسن الأداء إذا كان حسن إخراج الحروف من مخارجها»^(٤)، وقال الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) في رأيته

(1) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ص ٨١، ٩١، ١٩٠.

(2) المصدر السابق، ص ١٩٦.

(3) الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ للهمداني، الكتاب الخامس، الباب الخامس (مخطوط) نسخة غير مرقمة.

(4) تاج العروس للزبيدي، باب الواو والياء، فصل الهمزة ١٣/١٠.

رائيته التي قالها في القراء وحسن الأداء:

أيـا قـارئـ القـرآن أحـسن أداءه
يضاعف لك الله الجزيل من الأجر
فما كل من يتلو الكتاب يقيمه
ولا كل من في الناس يقرئهم مقري (١)

وقال الحافظ ابن الجزري في مقدمته:

وهو حليّة التلاوة وزينة الأداء والقراءة (٢)

فالحاصل أن الأداء يطلق على تأدية حروف القرآن وكيفياتها المستفيضة وتجويدها، ولا بد من التوكيد على أن تلك التأدية لا تنحصر على أصوات الألفاظ، بل تشمل الهيئات الأدائية كالإشمام في بعض صورهِ والسكت ونحوها مما نقل من وجوه الأداء، فذلك من أهم ما عني به في نقل القرآن الكريم.

الناقل:

اصطلح العلماء على إطلاق «أهل الأداء» على أئمة نقل القرآن الكريم وقراءاته وذوي الرواية والدراية في التلاوة، يُلاحظ ذلك في عباراتهم، ومن ذلك قول الشاطبي (ت ٥٩٠هـ): «تخيرهُ أهل الأداء، معللاً»، قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) - عند شرح هذه العبارة - : «وأهل الأداء: القراء» (٣)، وعبر الجعبري (ت ٧٣٢هـ): بـ«نقلة الأئمة... وحذاق

(١) رائية الخاقاني، ص ١٨.
(٢) المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، ص ١٣.
(٣) إبراز المعاني من حرز الأمانى، ص ١٥١.

وحدّاق الناقلين»^(١)، ومن يتصفح تراجم القراء كمعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وغاية النهاية في طبقات القراء للحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) يجد كثيراً من العلماء قد وُصِفَ بحسن الأداء لجودة تلاوته وإقراءه.

والنقلة يتفاوتون في درجاتهم علماً ودرايةً وحفظاً وأداءً، فمن حملة القرآن العالم بوجوه الإعراب والقراءات والمعاني والإسناد، ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الحفظ والأداء لما تعلم، ومنهم العارف بوجوه الإعراب لكن لا دراية له بالقراءات والآثار، فأما الأول فهو الذي تؤخذ عنه الرواية ويفزع إليه طلباً للدراية، وأما الآخران ومن كان على شاكلتهما فلا يُؤمّن عليهم من التصحيف والتخليط^(٢).

كما يتفاوتون في التحمل والأخذ عن المشايخ، ولا جرم أن المعوّل عليه عند أئمة الأداء عرض الطالب على الشيخ، وأما السماع من لفظ الشيخ أو الإجازة المجردة من العرض والسماع فلا يعتد بهما عند علماء القراءة إلا على وجه التعزيز والمتابعة؛ لأن في القراءة أموراً لا تحكمها إلا المشافهة، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ أو أجزى بقادر على الأداء^(٣).

-
- (1) الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني مع تحقيق نموذج من الكنز ٤٥٨/٢.
 (2) انظر السبعة في القراءات، ص ٤٥.
 (3) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني، ١/١٨١.

حقاً إن مهمة أهل الأداء تمثل جانباً مهماً في العمل الدعوي، وذلك يقوم على دعامتين أساسيتين، وهما: بناء الأجيال القادمة من خلال تعليمهم القرآن الكريم وحسن أدائه وفق ما تلقوه من أشياخهم، والدعامة الأخرى حسن تلاوته على الوجه الصحيح الذي يعطي الحرف حقه ومستحقه لفظاً ومعنى ويغري على الامتثال بتوجيهات القرآن الكريم والتخلق بأدابه، فذلك عين مفهوم الأداء، وهو «الإيصال».

قال الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): «وكان أهل البصيرة في الدين الجامعين بين العلم والعمل والتخلق يراعون في التلاوة المعاني وما يؤثر في القلب، ولا شك في أن كل مؤمن وكل محب للاطلاع على الحقائق والوقائع المؤثرة في أطوار البشر يعتقد أن قراءة النبي عليه الصلاة والسلام كانت أعظم المؤثرات في إيصال علمه وهدايته إلى القلوب المستعدة والعقول المفكرة»^(١).

والعناية بهذا الجانب جد مهمة، إذ تصل أصداء الكلمة المسموعة في هذا العصر إلى آفاق واسعة وأمم شتى عن طريق وسائل الإعلام وأجهزة التسجيل المتطورة، فما أجدر أهل الأداء بتوظيف تلك التقنيات في خدمة كتاب الله عز وجل ونشره في الناس.

ومن أوائل القراء الذين استثمروا وسائل الإعلام في إيصال أصدق كلام إلى العالمين الشيخ محمد رفعت (ت ١٣٦٩هـ) صاحب الصوت

(1) تفسير القرآن الحكيم، ١/٣٠٠.

الشجي والنعمة الطيبة، وقد استمع إلى قراءته أحد الضباط الطيارين الأجانب وهو في كندا من خلال المذياع، فجاء إلى القاهرة ليرى الشيخ، ثم أشهر إسلامه^(١).

وهذه الصورة المشرقة لأهل الأداء تستمد طاقتها من أسلافها، فقد ذكر الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن الإمام سبط الخياط (ت ٥٤١هـ) «أنه كان قد أعطي من ذلك حظاً عظيماً وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته»^(٢).

وتصديق ذلك كله في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٣)، حيث إن القرآن إذا أُدِّي بصوت حسن كان أَدْعَى إلى الإنصات إليه، فالدعوة في الحديث إذاً لتحسين القرآن وإظهاره للناس بأحلى حلله، وليست لمجرد تحسين الصوت فحسب؛ لأن المقصود القرآن وليس القارئ، قال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) عند هذا الحديث: «فكأنه تنبيه للمقصر في الرواية على ما يعاب عليه من اللحن والتصحيف وسوء الأداء، وحثٌ لغيره على التوقي من ذلك، فكذلك قوله: (زينوا القرآن) يدل

(1) انظر هذه القصة في ذكرى الشيخ محمد رفعت الـ٣١ - مجلة الدوحة يوليو ١٩٨١م، ص ٨٧.

(2) النشر في القراءات العشر: ٣١٣/١.

(3) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٣٢٩/١ رقم الحديث: (٢١٨) وأحمد في مسنده ٤٥١/٣٠ رقم الحديث (١٨٤٩٤) وعلقه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، «باب قول النبي x «الماهر بالقرآن مع سَفَرَةَ الكرام...»، ص ١٣٠٢، وروي بلفظ: «زينوا أصواتكم بالقرآن» على القلب، انظر المصدر التالي.

على ما يزين به من الترتيل والتدبر ومراعاة الأدب»^(١).

المنقول إليه:

وهو المؤدى إليه، ولما له من أثر في تحقيق عملية الأداء سماعاً وامتثالاً كان مؤدياً، قال الله تعالى: ¼ «فَأَنْصِتُوا لِقَوْلِهِ»^(٢).

قال أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) بعد أن ساق المعنى الظاهر للآية: «قلت وفيه وجه آخر، وهو أن يكون ¼ «بمعنى: استمعوا إلي، كأنه يقول أدوا إلي سمعكم أبلغكم رسالة ربكم»^(٣)، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بأذان واعية، مبصرون بعيون راعية»^(٤).

ويشمل الاستماع الجن كما شمل الإنس، وفي التنزيل: ¼ «فَأَنْصِتُوا لِقَوْلِهِ»^(٥)، وغير خافية السورة التي تسمى باسمهم.

ولا يقف حد الإصغاء عند العوالم من الجن والإنس، بل يصعد إلى الملأ الأعلى، فأجدر به استماعاً وإجلالاً، فقد وقع لغير واحد من الصحابة

- (1) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «زين»، ٣٢٦/٢.
- (2) سورة الدخان، الآيتان: ١٧، ١٨.
- (3) تهذيب اللغة ٢٣٠/١٤ مادة «أدى» ثم أورد بعده من كلام العرب ما يؤيد هذا المعنى.
- (4) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١٠٢/٣.
- (5) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

– رضوان الله عليهم – تنزل الملائكة لاستماع قراءتهم^(١)، وفي الحديث: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢). وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة^(٣) إلى قينته»^(٤)، ومعنى أذناً: استماعاً^(٥)، وهو من الله تعالى على الصفة اللائقة بجلاله سبحانه من غير تشبيهه باستماع غيره ولا تأويل ولا تعطيل.

-
- (1) انظر فضائل القرآن ومعالمه وآدابه لأبي عبيد، ص ٢٤٩.
 - (2) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر من الحديث رقم (٦٨٥٣)، ص ١١٧٣.
 - (3) المراد بالقينة: المغنية. انظر لسان العرب، مادة (قين) ٣٥١/١٣.
 - (4) أخرجه ابن ماجه في السنن، «باب في حسن الصوت بالقرآن»، ص ١٩٠ رقم الحديث
 - (١٣٤٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرک، «كتاب فضائل القرآن»، ٥٧١/١ وصححه، ولم يوافق الذهبى، وورد نحوه في صحيح مسلم بلفظ «ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» باب استحباب تحسين الصوت بالقراءة»، ص ٣٢١ رقم الحديث
 - (١٧٤٩).
 - (5) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (أذن) ٣٢/١.

والمنقول إليه يمثل المحطة الأخيرة لعملية الأداء، وهو لا يعمل عمله على الوجه الأكمل إلا إذا وصل اللفظ إلى السمع في أحسن صورة من النطق، ولذلك مقوماته التي حان بحثها فيما يأتي.

~ ~ ~

الفصل الثاني :

مقومات أداء القرآن الكريم

الأصل أن القارئ يحاول أن يُعْمِلَ المقومات التي من خلالها يبرز مقاصد القرآن الكريم.

وما من شك أن ما يقع من تفاضل في أداء القراء جودة وحسناً لا يعتمد على المقومات الصوتية فحسب، بل هناك مقومات إيمانية ونفسية وأخرى معرفية، وفيما بين تلك المقومات ترابط وثيق، وكلما قويت تلك الروابط وانتلفت كان القارئ أقدر على تحقيق المراد مع الإبحار في معاني القرآن وانجذاب المستمع إلى تاليه، بينما إذا تراخت عجزت عن إبراز الدلالات وبعث العواطف وإثارة الكوامن وقل تأثيرها.

~ ~ ~

لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه»^(١).

ولا ريب أن الاستحضار القلبي لمصدر هذا القرآن العظيم أقوى عوامل مقومات الأداء الإيمانية، حيث العظمة الربانية وثمة الجلالة الإلهية وما تضمنه أي الذكر الحكيم من المعاني القدسية الجامعة، فإذا انضم إلى ذلك استحضار المشاهد الأخروية وما أدخر لتاليه من الأجر والمثوبة كان ذلك أدعى لتعانق المعاني والألفاظ، وتجاوب القلب مع اللسان والأذان، وتلك هي التلاوة المستوفية قوامها، ويصدق على قارئها قول الله تعالى: ¼ «وَقُلْ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِلَّهِ الْفَتْحُ»^(٢)، وقول الله جل وعلا: ¼ «وَقُلْ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِلَّهِ الْفَتْحُ»^(٣)، وفي الحديث الشريف: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٤/٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، «باب كيف يستحب الترتيل في القراءة»، ص ٢١٨ رقم الحديث (١٤٦٤)، والترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، «باب الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخراب..»، ص ٦٥٥ رقم الحديث (٢٩١٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب فضائل القرآن، «أخبار في فضائل القرآن جملة» ٥٥٢/١، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

وللأجْرِيِّ محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ) - رحمه الله - كلام قيم في تصوّر مخلوقات الله العظيم والمشاهد الأخروية وأثرها عند قراءة القرآن، ونصه: «قال محمد بن الحسين: وقد قال الله عز وجل في سورة ق- والقرآن المجيد ما دلنا على عظم ما خلق من السموات والأرض وما بينهما في عجائب حكمته في خلقه، ثم ذكر الموت وعظم شأنه، وذكر النار وعظم شأنها، وذكر الجنة وما أعد لأولياؤه، فقال عز وجل: ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾ (١) إلى آخر الآية، ثم قال بعد ذلك كله: ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾ (٢)، فأخبر جل ذكره أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون مشاهداً بقلبه ما يتلو وما يستمع لينتفع بتلاوته للقرآن الكريم وبالاستماع ممن يتلوه» (٣).

وإذا جاءت القراءة مستوفية قوامها الإيمانى تفاعلت معها قوى النفس البشرية وما يتصل بها من التكوين الخلقى، إذ يقول الله تعالى: ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾ (٤)، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «وقد اقتضى قوله: ﴿لَا يَخْشَى الْفِتْنَةَ سِوَا اللَّهِ﴾ أن القرآن يشتمل على معانٍ تقشع منها الجلود وهي المعاني الموسومة بالجزالة التي تثير في النفوس روعة وجلالة

(1) سورة ق، الآية: ٣٥.

(2) سورة ق، الآية: ٣٧.

(3) أخلاق حملة القرآن، ص ٩.

(4) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

رهبة تبعث على امتثال السامعين له وعملهم بما يتلقونه من قوارع القرآن وزواجره، وكُنِّي عن ذلك بحالة تَقَارُنِ انفعال الخشية والرهبة في النفس لأن الإنسان إذا ارتاع وخشي اقشعر جلده من أثر الانفعال الرهبي، فمعنى ﴿سَمِعُوا وَأَطَاعُوا﴾: «: تقشعر من سماعه وفهمه، فإن السماع والفهم يومئذ متقارنان لأن السامعين أهل اللسان، يقال: اقشعرَّ الجلد، إذا تقبض تقبضاً شديداً كالذي يحصل عند شدة برد الجسد ورعدته، يقال: اقشعرَّ الجلود كناية عن وجل القلوب الذي تلزمه قشعريرة في الجلد غالباً^(١)».

وبذا يتضح أن المقومات الإيمانية للأداء القرآني من أولى ما ينبغي أن يُعنى به القارئ، فيها تشف النفس وتصفو، ومن خلالها تبدو إشراقات معاني القرآن وأنواره.

~ ~ ~

(1) التحرير والتنوير ٣٨٨/٢٣.

المبحث الثاني:

المقومات النفسية

تبدأ عملية الكلام والاستماع بالأحداث النفسية، وبها تنتهي، ذلك أن الكلام يقوم في الذهن أولاً ثم يعبر عنه عن طريق جهاز النطق بألفاظ ترمز إليه^(١)، وفي ذلك يقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلاً^(٢)

فإذا انتقل الكلام عبر البذبذبات الصوتية إلى الجهاز السمعي أخذت الأحداث النفسية والعمليات العقلية تترجمه وتحلله^(٣).

ولهذا فإن القارئ إذا تصوّر ما يتلوّه من القرآن الكريم إجلالاً وجمالاً أداه بتدبر ووقار، وبرغبة ورهبة، وبذلك ينفذ إلى مشاعر المستمع بأحاسيس صادقة ومعانٍ ذات دلالات عميقة.

ولقد عني السلف الصالح بهذا الجانب من التلاوة واعتبروه خطوة أساسية لحسن التلاوة وفهمها، فكان الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ)

-
- (1) انظر علل اللسان وأمراض اللغة، د. محمد الكشّاش، ص ٨١.
 - (2) وهو منسوب إلى الأخطل، وقد بحثت عنه في ديوانه فلم أجده فيه، لكن استشهد به غير واحد، ومنهم ابن هشام في شذور الذهب، ص ٢٨، وعزاه إليه.
 - (3) انظر المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصرة د. عبدالقادر الخليل، ص ٨١، وعلم الأصوات اللغوية د. مناف الموسوي، ص ١٤.

إذا فتح المصحف ربما تسيل عيناه وشفته لا تتحركان^(١)، وكان الإمام عبدالله بن كثير - (ت ١٢٠ هـ) أحد القراء السبعة - إذا أراد أن يُقرأ أصحابه وعظهم، ليقبلوا على قراءة القرآن بقلوب خاشعة^(٢).

وما الاستعاذة قبل البدء بقراءة القرآن الكريم إلا تهيئة للنفس وسياج لها من وساوس الشيطان وكيده.

ثم وكّد النبي عليه الصلاة والسلام المحافظة على الصفاء النفسي منذ البدء بتلاوة القرآن الكريم إلى حين الفراغ منه، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»^(٣)، ومعنى هذا الحديث أنه - عليه السلام - أرشد وحضّ أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته، متفكرة متدبرة له، لا في حال شغلها وملالها، فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك^(٤)، ولذلك كانت فرصة القراءة أو الاستماع في حمى الصلاة أكثر تأثيراً لقلّة دواعي السياحة الدنيوية.

~ ~ ~

- (1) انظر المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة، ص ٢٠٧.
- (2) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري ٤٣٧/٢.
- (3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، «باب اقرأوا القرآن..»، ص ٩٠٦، رقم الحديث (٥٦١)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، «باب النهي عن متشابه القرآن»، ص ١١٦١، رقم الحديث (٦٧٧٧).
- (4) فضائل القرآن لابن كثير، ص ١٧١.

المبحث الثالث:

المقومات المعرفية

تتصدر معرفة مخارج الحروف وصفاتها تلك المقومات، وذلك بتوفية الحروف حقوقها من حيث المخارج والصفات اللازمة والعارضة، ومراعاة أحكامها مفردة أو متصلة بما قبلها أو بعدها، والدراية باختلاف أحوالها وصلأ ووقفأ وابتداءً.

ويتدارك ذلك بالمواظبة على الدرس، وكثرة العرض على القراء المحررين، والمداومة على رياضته بمجالسة العلماء ممن وهبهم الله حسن التأدية وإدمان الاستماع إليهم والأخذ عنهم^(١).

وليس كل من تصدر للإقراء أو انتصب للأداء يؤخذ عنه، كما قال أبو مزاحم الخاقاني (ت ٣٢٥هـ):

فما كل من يتلو القرآن يقيمه

ولا كل من في الناس يقرئهم مقرئ^(٢)

وإنما يتعلم ممن كملت أهليته، واستقامت طريقته، وسلم من البدع والأهواء، وأؤتمن على دينه وفيما ينقله من وجوه الأداء^(٣)، فيجب على

(1) انظر بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء لابن البناء، ص ٣٤.

(2) رائية الخاقاني (القصيدة الخاقانية)، ص ١٨.

(3) انظر شرح القصيدة الخاقانية التي قالها في القراءة وحسن الأداء للداني، ص ١١، ٢٥.

الوعد أرسل صوته كالمتمنشط المسرور وأداها بكل شوق وتوق.^(١) ونحو ذلك من آيات

وتكمل المقومات المعرفية الخاصة إذا استطاع القارئ أن يؤدي الألفاظ المتغايرة في المعاني في مساحة ضيقة دون أن يخرج عن طبعه، فينتقل بين رياض المعاني بلطف وشفافية دون نشاز في الأصوات وتنافر

في التلظظ، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا إِنَّا أَسَاءَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٢)، فالجملة الأولى تؤدي على نحو من الزجر والتهديد،

والجملة التي تليها تؤدي على نحو آخر من التبشير والترغيب، وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ﴾^(٣)

فقد اجتمع في هذه الآية عدة معاني من الإخبار الأمر والنهي والندارة

والبشارة^(٤)، ولكل معنى صوته الذي يستحقه، ويضبط ذلك بالمشافهة ورياضة التلاوة.

وكلما تعددت حقول المعرفة لدى القارئ الماهر وتعرف على

الأساليب المختلفة في أداء الكلام كان أقوم لأداء القرآن الكريم ممن هو أقل منه معرفة بالثقافات الأخرى.

(1) سورة الزخرف، الآية: ٧٠.

(2) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(3) سورة القصص، الآية: ٧.

(4) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ٢٥٢/١٣.

ومن أهم العلوم التي تساعد القارئ على حسن الأداء علوم اللغة العربية^(١)، من اللهجات العربية ومن النحو والصرف والبلاغة، حتى يستطيع أن يعطي كل لفظة وجملتها حقها من الاستفهام والإخبار والتعجب والتحضيض والأمر والنهي والتأكيد.. إلخ.

ومنها الفقه بأحكام القرآن، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (١) حيث إنه من قال من الفقهاء لا تقبل شهادة القاذف وإن تاب كان الوقف عنده على ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٢) «، بينما من قال تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنده متصلاً، وتمام الوقف عليه عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٣).

ويعتبر علم التفسير دعامة أساسية في مقومات الأداء، وذلك أن مصادر التفسير تشكل موسوعات ثقافية في اللغة والمعاني والاعتقاد والفقه والتاريخ وأحوال العمران البشري، وكل ذلك ينمي من مهارات الأداء، حيث إنه يساعد على الكشف عن الصيغ المناسبة لأداء كل سورة ومقاطعها وجملتها وكلماتها.

وقد نوّه الإمام مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) بهذا الجانب المعرفي

(١) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ص ٥٠.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) انظر القطع والانتناف للنحاس، ١/٩٤.

في كتابه القيم: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، وفي هذا السياق يقول – رحمه الله: «ينبغي لطالب القرآن أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله ما فرض عليه ويلقن عنه ما خاطبه به، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو وأن يتعلم الناسخ والمنسوخ فيعلم ما فرض الله عليه مما لم يفرض عليه، وما سقط العمل به مما العمل به واجب، وأن يتعلم الفرائض والأحكام، فما أقبح حامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يعلم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه! وما أقبح به أن يُسأل عن فقه ما يتلو فلا يدريه، فما من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

وينبغي لطالب القرآن أن يعرف المكي من المدني، فيفهم بذلك ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض عليهم في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، ويُقوى بذلك على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأن المدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني؛ لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل الناسخ له.

ومن كمال حال طالب القرآن أن يعرف الإعراب وغريب القرآن، فذلك مما يسهل عليه معرفة معنى ما يقرأ ويزيل عنه الشك في إعراب ما يتلو.

فهذا كله من كماله ومن تمام شرفه وبراعته وتهذيبه، فقد قالت عائشة – رضي الله عنها: (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يشق عليه القرآن له أجران بمشقتة وتلاوته)» (١) (٢).

وإذا تقرر أن مفهوم الأداء يشمل السامع فإن الله امتدح أولئك الذين فاضت أعينهم عند سماع القرآن بسبب ما عرفوا من الحق، فقال جل شأنه: ﴿...﴾ (٣).

~ ~ ~

-
- (1) هذا حديث مرفوع، وسيأتي ذكره وتخريجه في المبحث الأول من الفصل الثالث.
 (2) الرعاية، ص ٨٦.
 (3) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

المبحث الرابع:

المقومات الصوتية

الصوت راحلة القارئ، فإذا كانت الراحلة تزين حاملها وتسرع الناظرين إليها، فإن الصوت يزين قارئه ويغري السامع إلى الإنصات إليه، ومهما أوتي القارئ من سعة الاطلاع والرواية وقوة الحفظ وضبط الحروف فإنه لا يقدر على منافذ التأثير على السمع إن لم يعمل الجانب الصوتي في أدائه.

ولا جرم أن القراء يتباينون في تلاوتهم تبعاً لتباين أصواتهم جودة وعذوبة، بيد أن حسن الأداء لا يتوقف من جهة الصوت على الخلق والتكوين، فكم من قارئ يقع صوته في النفوس أكثر ممن هو أندى منه صوتاً، وما ذاك إلا لتوفر عوامل أخرى عند القارئ استدعت الاستماع والإصغاء إليه، ومن أهمها موافقة الكيفيات الصوتية قواعد التجويد ومعاني الألفاظ ومشاعر الوجدان، إذ التجويد هو الضابط لتفخيم حروفه وترقيقها وانحباس الصوت وجريانه، وأيضاً المعاني وما تحدثه من انفعال وجداني هما العاملان في ارتفاع الصوت وانخفاضه وسرعته وبطئه.

وليست الهيمنة لقواعد النغم، وإن وقع خلاف بين العلماء في جواز القراءة بالألحان^(١)، على أن هذا الخلاف عند إمعان النظر مرتب لا

(1) انظر مقدمة ابن خلدون، ص ٤٢٥ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٦/١٩.

مفرّغ، وذلك أن القراءة بالألحان لا تخرج عن حالتين:

الحالة الأولى:

الألحان التي تسمح بها طبيعة الإنسان من غير تصنّع، وهذا ما يفعله أكثر الناس عند قراءة القرآن، فإن كل من تغنّى بالقرآن فإنه لا يخرج عن ذلك التلحين البسيط، وذلك جائز، وهو من التغني الممدوح المحمود، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(١)، وعلى هذه الحالة يحمل الحكم بالجواز والاستحباب.

الحالة الثانية:

الألحان المصنوعة والإيقاعات الموسيقية التي لا تحصل إلا بالتعمّل والتمرين، ولها مقادير ونسب صوتية لا تتم إلا بها، فذلك لا يجوز؛ لأن أداء القرآن له مقاديره التجويدية المنقولة التي لا يمكن أن تتوافق مع مقادير قواعد تلك الألحان إلا على حساب الإخلال بقواعد التجويد، وذلك أمر ممنوع.

وفي ذلك يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ): «وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم براءء من القراءة بالألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَهْلَ عِبَادَتِهِ قَوْلَ مَا لَا يَعْلَمُ﴾.

④- «سورة تبارك، الآية: ١٣، ص ١٢٩٩، رقم الحديث: (٧٥٢٧).

بها ويسوّغوها، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرآن، ويقرؤونه بشجي تارة، وبطرب تارة، وبشوق تارة، وهذا أمر مركز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كنا نفعله، والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته عليه الصلاة والسلام» (١).

ويقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنعيمات المحدثّة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقيّ فالقرآن ينزه عن هذا ويُجلّ، ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب» (٢).

وما ينادي به بعض الكتاب من تلحين القرآن بزعم تصوير المعاني وضبط الأنغام، وربما تمادى بعضهم وطالب بما يقارن تلك الألحان بالآلات الموسيقية (٣)، فكل ذلك جرأة على كتاب الله تعالى ذكره وتقدس

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ٤٩٣/١.

(2) فضائل القرآن، ص ١١٤.

(3) انظر مقال: «حول فكرة تلحين القرآن» لعبد الفتاح القاضي بمجلة الأزهر الجزء الأول، عدد محرم ١٣٨٧هـ، والجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للبيب السعيد، ص ٣٤٣.

اسمه، ولا شك أن الاشتغال بتلك الأنغام يوقع القارئ في تحوير الألفاظ،
ويصرف السامع عن تدبر المعاني، بل يفضي بها إلى التغيير، وكتاب الله
تعالى مجد المسلمين ينزهه عن ذلك.

إن لأداء القرآن الكريم خصائصه التي تميزه عن سائر الكلام،
ومحاولات التجديد التي لا تستند إلى تلك الخصائص لا تلبث أن تؤد في
مهدها، ويأبى الله إلا أن يحفظ كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه.

~ ~ ~

الفصل الثالث:

خصائص أداء القرآن الكريم

القرآن كلام الله تعالى ذكره، فذلك أسّ الخصائص ورأس المزايا، وهناك صفات اختص بها أداء القرآن الكريم تدل على ما لهذا النوع من الأداء من مكانة منيفة من جهة أسلوبه ومعانيه وآثاره، وبيانها في المباحث التالية:

المبحث الأول التعبد

إن خصيصة التعبد سمة يمتاز بها القرآن الكريم في مبانيه ومعانيه، لجلالة المتكلم به تعالى ذكره، «وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة، وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها»^(١).

وليس ثمة كلام جمع خصال التعبد في ألفاظه ومعانيه إلا القرآن الكريم، ولذلك يتأكد في حق تاليه الركنان الأساسيان لقبول العمل، وهما: أن تكون التلاوة وفق الصفة المتلقاة عن الرسول عليه الصلاة والسلام وأئمة الأداء جيلاً إثر جيل، وأن تكون خالصة لله تعالى ابتغاء وجهه

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٤٩/١٢.

الكريم.

وكلما كان القارئ متلبساً بهذين الركنين كان أكثر تأثراً وتأثيراً بما يتلوه من الذكر الحكيم، ولهذا كان للقراءة في الصلاة صبغتها التي لا تكاد تكتمل في غيرها، وذلك لما للصلاة من دور كبير في استحضار تلك الخصيصة وإذكائها.

وإذا كان من أصول الإسلام الثواب من الله جل وعلا لمن أخلص له فإن تلاوة القرآن الكريم قد خصت بنصوص شريفة تضمنت أجوراً كريمة تحفز القارئ إلى الإحسان في أدائه، ومنها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه وهو عليه شاق له أجران»^(١)، فقد تضمن هذا الحديث أجر الماهر، وهو الحاذق والمتقن، فكأنه مع السفارة البررة فيما يستحقه من الثواب، والسفرة هم الملائكة^(٢).

ولله درّ الخاقاني (ت ٣٢٥ هـ)، حيث قال رحمه الله:

فيا قارئ القرآن أحسن أداءه

يضاعف لك الله الجزيل من الأجر^(٣)

~ ~ ~

- (1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، «باب فضل الماهر بالقرآن»، ص ٣٢٣، رقم الحديث: (١٨٦٢).
- (2) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «سفر» ٣٧١/٣ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٤٣/١٨.
- (3) رائية الخاقاني، ص ١٨.

ضروب إعجازه التي نوه بها علماء القرآن واللغة^(١)، وفي التنزيل: ¼
 ﴿فَكَفَىٰ بِنُوحٍ دَلِيلًا عَلَىٰ صِدْقِ بَرَاهِنِهِ﴾^(٢). فكفى بتلاوته
 دليلاً على صدق برهانه.

ويقرب الدكتور محمد عبدالله دراز (ت ١٣٧٧هـ) هذه المسحة
 الصوتية الخاصة بترتيل القرآن والمعبرة عن معجزته الخالدة، فيقول:
 «أول ما يلاحظ ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه
 الصوتي في شكله وجوهره، دع القارئ المجود يقرأ القرآن ويرتله حق
 ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه،
 ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها
 وسكناتها ومداتها وغماتها وسكناتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة
 الصوتية وقد جرّدت تجريداً وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها
 بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرّد هذا التجريد وجوّد
 هذا التجويد»^(٣).

وملامح الإعجاز في الأداء القرآني تتجاوب من جميع أنحاء، فإن
 أجريت لسانك بألفاظه وجدت سلاسة في جريها، وإن ألقيت سمعك إليها
 تلذذت بحلو مذاقها، فإن أعملت عقلك في معانيها ومغازيها تجلّت لك أبعاد

(1) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣٨٤/١ وبيان إعجاز القرآن
 للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص ٧٠ والبرهان في علوم القرآن
 للزركشي ١٠٦/٢ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٨/١٩ والمعجزة
 الكبرى لأبي زهرة، ص ٣٠٤.

(2) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(3) النبأ العظيم، ص ١٠١.

الإعجاز فيها، فما ظنك بأداء تضافرت فيه تلك الجوانب جميعها.

~ ~ ~

المبحث الثالث:

التجويد

استبان من الخصيصتين الأنفتي الذكر أن التجويد شرط في كل منهما، فمتى عريت التلاوة منه لم يكن موافقاً لما جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام ونقله القرآن، ومن ثم فإن ملامح الإعجاز الأدائي تتوارى.

وتجويد القراءة إعطاء الحروف حقوقها بإخراجها من مخارجها وتوفيتها صفاتها، والتسوية بين نظائرها، من غير إفراط ولا تفريط^(١).

والمعول عليه في التجويد ما اعتبره أئمة القراءة أولي الدارية، كما

قال الخاقاني (ت ٣٢٥هـ) في رائيته:

وإن لنا أخذ القراءة سنة

عن الأولين المقرئين ذوي السستر

وقال مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): «وليس قول المقرئ والقارئ: أنا أقرأ بطبعي وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجة، بل ذلك نقص ظاهر فيهما لأن من كانت حجته هذه يصيب ولا يدري، ويخطئ ولا يدري، إذ علمه واعتماده على طبعه وعادة لسانه يمضي معه أينما مضى به من اللفظ،

(١) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ٦٢، ولطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطاني، ٢٠٧/١.

ويذهب معه أينما ذهب، ولا يبني على أصل، ولا يقرأ على علم، ولا يقرأ عن فهم.. فلا يرضين امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره وتجويد ألفاظه إلا بأعلى الأمور وأسلمها من الخطأ والزلل»^(١).

والتجويد مزية مهمة في أداء القرآن الكريم، ولا يروم الكمال في الأداء إلا كَمَل المجودين الذين يعنون بتجويد الألفاظ والوقوف على حقائق الكلام، وانتهاء الغاية في الإتقان^(٢).

ولا ريب أن تجلية المعاني إحدى دعائمات حقائق الكلام، ولها حظ وافر في البلوغ به إلى درجة الإتقان، فلئن كان الصوت مطية المعنى فإنه متى تغير المعنى كان القارئ مخلاً بالتجويد إخلالاً ظاهراً أو خفياً، أما الظاهر – وهو اللحن الجلي – فيستوي في معرفته الخاصة والعامة، وأما الخفي فهو كاسمه لا يقف عليه إلا حذاق القراء، ومنه الفرق بين الخبير والاستفهام والنفي والإثبات، ونحو ذلك^(٣).

فالتجويد إذاً لا ينحصر على جهة التلفظ بمخارج الحروف وصفاتها دون مراعاة معانيها، وهذا هو المفهوم الأسدّ للتجويد الذي عليه أئمة الأداء، فكان الإمام حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) يقول: «إن الرجل ليقرأ القرآن فما يلحن حرفاً، أو قال: ما يخطئ حرفاً، وما هو من القراءة في

(1) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب، ص ٢٥٤.
(2) انظر المصدر السابق، ص ١٥٤ والتحديد في الإتقان والتجويد للداني، ص ١٦٩.
(3) انظر التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ٢٣٧ والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشيرازي، ١٥٩/١.

شيء»، وربما قرأ الرجل على الإمام عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٧هـ) فيقول ما قرأت حرفاً، قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) معلقاً على هذا الخبر وما أشبهه: «يريد أنك لم تقم القراءة على حدها، ولم توفّ الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء»^(١).

~ ~ ~

(١) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص ٢٧.

المبحث الرابع:

التدبر والتذكر

إن القرآن هو كتاب الأمة الإسلامية ومنهاجها، ومعراج الوصول إلى هداياته ومقاصده يكون ببذل الوسع في تدبر معانيه وتذكرها. وإذا كان حسن التعامل مع الألفاظ أحد آداب القرآن الظاهرة فإن التدبر والتذكر أعظم آدابه الباطنة، حيث يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْرِمُوا ظُهُورَكُمْ إِلَى الْكَافِرِينَ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ عَلَىٰ ذُرِّيَّتِكُمْ لَا يَدْرُونَ خَبْرًا وَلَا يُنذِرُونَكُمْ إِلاَّ بِاللَّغْوِ وَإِنْ أَنْذَرْتُمْهُمْ سَأِلُوكُمْ بِطُغْيَانِهِمْ ضَرْحًا مُّبِينًا﴾ (١)، «قال بعض العلماء: إن الله تعالى أنزل هذا الكتاب وجعل حكمه بين أمرين، التدبر والتذكر، فمن لم يحصل له في قراءته أو في سماع تلاوته تدبر ولا تذكر لم يفز بنائل» (٢).

والمقصود بالتدبر في الآيات: «التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يُدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة» (٣)، فالتدبر هو الحضور العقلي (٤).

-
- (1) سورة ص، الآية: ٢٩.
 - (2) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء لابن البناء، ص ٣٩.
 - (3) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري، ٣/٣٧٢.
 - (4) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ١/٢٨٧.

والمراد بالتذكر: الحضور القلبي، هو الاتعاض، فالتذكر أحد آثار التدبير، وهو استدامته بالانتفاع به (١).

والقارئ والمستمع شركاء في التدبير والتذكر، وصفة ذلك أن يشتغل القارئ في معاني ما يلفظ بلسانه، والمستمع فيها يصل إلى آذانه، فيترجم العقل ذلك بالتدبير، والتأمل في معانيها ومراداتها، ويطرحه القلب بالاعتقاد، ثم يتبعه العمل، ويوضح برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ذلك فيقول - رحمه الله: «فإذا مر بآية رحمة فرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك، وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان فقال أما بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيده من النار، وإن هو مر بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾» (٢). وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول: لبيك ربي وسعديك ويتأمل ما بعدها مما أمر به ونهي عنه فيعتقد قبول ذلك، فإن كان من الأمر الذي قصر عنه فيما اعتذر عن فعله في ذلك الوقت، واستغفر ربه في تقصيره» (٣).

~ ~ ~

- (1) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (ذكر)، ص ١٧٩ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٧٦/١٦ وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/٢٣.
- (2) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (ذكر)، ص ١٧٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٧٦/١٦ وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/٢٣.
- (3) البرهان في علوم القرآن ١/٤٥٠.

الباب الثاني:

غايات الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته

ويشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: غايات الأداء.
- الفصل الثاني: ظواهر الأداء.
- الفصل الثالث: دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة.

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

٦٠

الفصل الأول:

غاية الأداء

مهما تعددت الغايات في أي أداء فإن مدارها هو الإفهام^(١)، وبقدر ما يكون الأداء أكثر جودة تدرك غايات الأداء مطالبها فصاحة في التعبير وتأثيراً في النفوس والأخلاق.

والمقصود بغايات الأداء ما اشتملت عليه آيات القرآن الكريم من المعاني والمقاصد كالأمر والنهي والإثبات والنفي والخبر والاستفهام والحث والتحضيض والتهلف والتندم والتعظيم والتحقير.. إلخ مما لا يحده حصر، غير أنها يمكن أن تندرج في ثلاثة معانٍ رئيسة، وهي: الدلالات التصويرية والإثارة الوجدانية والروعة الجمالية.

~ ~ ~

(1) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٦/١.

المبحث الأول:

الدلالات التصويرية

تتم عملية تجسيد الصور الذهنية بواسطة الدلالات الصوتية أو الكتابية أو غيرهما من وسائل التعبير، ومنه ما يقع في أثناء الخطب من رفع الصوت وتكيفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف والزجر، أو غنة الاسترحام والعطف، أو رنة النعي وإثارة الحزن، أو نغمة التشويق والشجو، أو هיעة الاستصراخ عند الفرع، أو صخب التهويش وقت الجدل، ومنه الاستعانة بالإشارات، وتصوير المعاني بالحركات، ومنه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة أو وضع خط فوقها أو تحتها (١).

ومقتضى الأداء السليم العناية ببيان دلالات الآيات ومقصادها بحيث تتصور ظلال معانيها في النبرات الصوتية والإشارات الأدائية ذات الدلالات المعنوية من الإشمام والروم والوقف والوصل والابتداء، وغيرها، فذلك هو الأداء الحي الذي تتناغم فيه أصوات الحروف ومضامينها.

وذلك لون من ألوان البيان، ولهذا أدخل بعض العلماء في تعريف

(١) تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد رشيد رضا ٢٩٩/٨.

أحدهما أن تأتي لامتناع الشيء لوجود غيره، ويليهما المبتدأ والخبر، كقوله تعالى: ﴿إِن يَشَاءِ اللَّهُ يُخْفِضِ لَهُ السَّلَاطِينَ﴾ (١).

والآخر أن تأتي للتحضيض، بمعنى (هلا) ويليهما الفعل كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٢) والفرق بينهما في اللفظ أن الداخلة على المبتدأ والخبر يخفض الصوت بـ(لو)» (٣). وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٤). فالأولى امتناعية والثانية تحضيضية (٥)، ولكل واحدة منهما أدائها الخاص الذي يبرز معناها.

كما يتأكد ذلك عند الخوف من التباس المعاني، فتميز الصوت يبرز المعنى الصحيح ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٦)، يرفع الصوت على النار إشارة إلى أن النار مبتدأ بعد القول، وليست فاعلة (٧).

وذلك ما يعرف عند المُحَدِّثِينَ بالتنغيم، ومعظم اللغات تستخدمه للتفريق به بين المعاني، ويعدّ في اللغة العربية من أهم متطلبات الفصاحة (٨) وهو عند علماء القراءة فعلياً من أهم متطلبات حسن الأداء، ومن خلال

- (1) سورة البقرة، الآية: ٦٤.
- (2) سورة البقرة، الآية: ١١٨.
- (3) وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته (٩/ب).
- (4) سورة القصص، الآية: ٤٧.
- (5) انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد ٧١٩/٣.
- (6) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.
- (7) وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته، سورة الأنعام (نسخة غير مرقمة)، وذكر نحو ذلك في سورة يوسف، عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٧) الآية:

٦٦

- (8) انظر التنغيم ودوره في التحليل اللغوي، ص ٧٧، ٧٩.

تتبع جملة من النصوص تبين أن مقادير رفع الصوت وخفضه تأتي على ثلاث مراتب، وهي:

أ- مرتبة معتادة.

ب- مرتبة منخفضة.

ج- مرتبة مرتفعة.

وبيان ذلك فيما يلي:

أ- المرتبة المعتادة:

وهي الصفة الغالبة على التلاوة، وتأتي في الصيغ والأدوات الإخبارية غالباً، وربما عبروا عنها بخفض الصوت بالنظر إلى ما جاورها إذا كان ذا مرتبة عالية، نحو المثال في «لولا» المذكور آنفاً. وربما عبروا عنها بأنها مما لا يبين في القراءة^(١)، وذلك بالنظر إلى المراتب الأخرى المنخفضة والمرتفعة.

ب- المرتبة المنخفضة:

ولهذه المرتبة أصل ذكره ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) عن التابعي الجليل الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي (ت ٩٦هـ)، ونصه: «ينبغي للقارئ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ لَهُمْ كَأَن يَخْفَىٰ لَهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ سَدِيقًا﴾ (٢) ونحو ذلك من الآيات أن يخفض بها صوته»^(١)، وقوله:

(1) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرم الشهرزوري، ١٥٥٦/٤.

(2) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

«ونحو ذلك من الآيات» يشير إلى أن هذه قاعدة مضطربة فيما شابهها، ولهذا علق ابن الجزري عقب هذا النص بقوله: «وهذا من أحسن آداب القراءة».

وكان القارئ الشهير الشيخ محمد رفعت (ت ١٣٦٩هـ) - رحمه الله - يعنى بهذا الأدب، وإن شئت فاستمع إليه، وهو يقرأ قول الله تعالى: ¼ حيث خفض صوته عند قوله تعالى: ¼ «، مصوراً إسرار نبي الله يوسف - عليه السلام - في حزاة نفسه هذه المقالة: ¼ «دون أن يسمعها إخوته» (٣).

ونحو ذلك قوله تعالى: ¼ (٢) «فالماهر في القراءة هو الذي يستطيع أن يبرز هذه الصورة، ويجعلها حية في أذنيه، بحيث يخفض بها صوته مثيراً خيال المستمع ليتصور حالة أصحاب الجنة وهم يتخافتون في حديثهم هذا: ¼ (٢) «».

- (1) غاية النهاية في طبقات القراءة ٣٠/١، وورد نحوه في كتاب الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذي، ص ٨٠.
- (2) سورة يوسف، الآية: ٧٧.
- (3) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٣/٣، وفي الآية معنى آخر، وهو أن قوله: ¼ «كلام مستأنف لا يعود على الضمير المذكور في ¼»، انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٣٤/٥.
- (4) سورة القلم، الأيتان: ٢٣، ٢٤.

ج- المرتبة المرتفعة:

يشهد لهذه المرتبة ما ذكره السيوطي (٩١١هـ) في الدر المنثور (١)

أنه يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ لَشَاغِبُونَ﴾ (٧) « (٢) يرفع بها صوته.

ولا بد لمن رتل القرآن أن يأخذ بها، إذ أدنى ارتفاع على المرتبة المعتادة هو من هذه المرتبة، وهي على درجات ثلاث، وقد اجتمعت في «ما» حيث يرتفع الصوت عند «ما» الاستفهامية، وأعلى منه بدرجة عند «ما» التعجبية، وأعلى منهما بدرجة أيضاً «ما» النافية، وقد لخصها الجعبري في عقود الجمان بقوله:

فأرفعن الصوت في	نفي الثلاث وقد أتى وسطان
ما للتعجب ثم الاستفهام	والباقي على سنن التلاوة غان
هذا من إعراب القرآن فلا ترم	سندا ورفع الصوت للفرقان (٣)

وقوله رحمه الله: «لا ترم سنداً...» يشير إلى أن هذا من قبيل الدراية، وأن الإخلال به ليس في قوة الإخلال بالقراءات الثابتة بالرواية، وفي نحو هذا السياق يقول الحافظ أبو العلاء (ت ٥٦٩هـ): «واعلم أن جميع ما قصصناه في هذا الكتاب هو شيء ذكره أهل الأداء والمعاني، ولم يجيء مجي القراءات وعدد الآي والوقوف والابتداء، وهو على ذلك لا

(1) ٥٠٦/٣، ولمزيد من الآثار في ذلك يراجع فضائل القرآن لأبي عبيد ٣٢٠/١، ٣٢٤.

(2) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.

(3) عقود الجمان (١١/مخطوط).

يعرف أكثره حق معرفته بالقول والصفة، بل يوقف عليه بالرواية والمشاهدة، إذ ليس الخبر كالمعينة»^(١).

وتلك الدرجات الثلاث من الرتبة المرتفعة تتبع المعاني، فكما أن هناك فرقاً بين «ما» فكذاك هناك فرق في بعض الكلمات، مثل «كيف» حيث من معانيها الاستفهام عن الحال نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ رَبِّكَ شَيْءٌ سِرًّا وَعَظْمًا وَعْدْمًا﴾^(٢) وقد تأتي بمعنى التعجب، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ رَبِّكَ شَيْءٌ سِرًّا وَعَظْمًا وَعْدْمًا﴾^(٣)، وقد تأتي بمعنى النفي كقوله تعالى:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ رَبِّكَ شَيْءٌ سِرًّا وَعَظْمًا وَعْدْمًا﴾^(٤).

وهي من حيث الدرجات الصوتية مثل «ما» فأعلاها النافية وأدنى منها التعجبية وأدنى منهما الاستفهامية، وإن كانت كلها في المرتبة المرتفعة^(٥).

وثمة فرق بين الطلب والأمر والتهديد، وكذلك تتفاوت الدرجات من حيث الإثبات والنهي والنفي، والتقدير والتأكيد.. إلخ، وليست هذه الدرجات أو تلك المراتب بقانون ملزم لا يجوز الخروج عنه، بل من

- (1) انظر الهادي في معرفة المقاطع والمبادئ (مخطوط)، الكتاب الخامس، الباب الثاني (نسخة غير مرقمة)، وما حقق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رسالة الدكتوراة ١٤١١هـ، إنما هو جزء من هذا الكتاب الكبير، ولم يتنبه لذلك المحقق.
- (2) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
- (3) سورة البقرة، الآية: ٢٨.
- (4) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
- (5) انظر وقوف القرآن وماءاته وأجزاؤه وتقسيماته (١/٩).

الصعوبة بمكان تحديد موضع ارتفاع الصوت في جزء محدد من كل كلمة في القرآن بقاعدة مطردة، وذلك من مزايا اللغة العربية التي نزل بها القرآن، حيث تعطي القارئ مساحة أوسع لإبراز المعنى، وحرية أرحب ليعمل الذوق والحسن القرآني في إطارين محكمين من الرواية والدراية.

ولا تنحصر الدلالات التصويرية على مراتب الصوت فحسب، بل كل الظواهر الأدائية من وقف ومد وغيرها كلها تقرب الصورة المعنوية الحقيقية لكل كلمة إذا أدبت على الوجه الذي نقل إلينا عن أئمة القراءة أولي الرواية والدراية في حال الحضور والاستعداد النفسي، وذلك ما سيُتناول بالدراسة في مبحث ظواهر الأداء وآثاره المعنوية، بيد أنه لا بد هنا من التنويه بعاملٍ آخر يهتم به العلماء في الجانب التصويري لدلالة الكلمة والآية القرآنية، وهو التخليص^(١) وربما عبروا عنه بـ«فك الحروف»^(٢)، والمقصود به استيفاء الحركات والحروف والكلمات حقوقها مخرجاً وصفة وتمييز مقاطعها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَىٰ الْاٰمِرَٓةَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَىٰ الْاٰمِرَٓةَ﴾^(٤)، حيث يتعين تخليص «ساء» من «لهم حتى تكون من السوء، بينما لو لم

(1) انظر هذا المصطلح في التحديد في الإتقان والتجويد للداني، ص ٨٠.

(2) انظر هذا المصطلح في شرح القصيدة الخاقانية، ص ٢٤٢.

(3) سورة طه، الآية: ١٠١.

(4) سورة الكوثر، الآية: ١.

يخلصها القارئ لأوهم أنها من المساءلة^(١)، فإن ضعف التحرز في التخليص يفضي إلى تحور الكلمة إلى «ساءل» لانقطاع اللام عن «لهم» وانضمامها إلى الفعل «ساء» وحينئذ يتغير المعنى من السوء إلى المساءلة فتكون «ساء لهم» كـ«بايعهم» «وقاتلهم»، وكذلك يتعين تخليص كاف «أعطيناك» من الكاف التي تليها لئلا تقرأ هكذا «أعطيناك كالكوثر»^(٢).

وأكثر المتصدرين من أساطين القراء يعنون بهذا الجانب في حال التلقي والإقراء إلى وقتنا الحاضر، ويشهد لذلك ما جاء في الأحاديث الثابتة في وصف قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام بأنها كانت «مفسرة حرفاً حرفاً»^(٣).

ولا يزال مشايخ القراء يهتمون في الإقراء بالتخليص على النحو الذي مرّ آنفاً، ومن ذلك عنايتهم بالنطق الصحيح للكلمات القرآنية على الوجه الذي تلقوها من أشياخهم خالصة دون شائبة، بريئة من اللحن الخفي، جزلة اللفظ، ظاهرة المعنى، وذلك مثل كلمة: « سَاءَ لَهُمْ »^(٤) و $\frac{1}{4}$

- (1) انظر الموجز في تراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم د. محمد الطناحي، ص ١٥، والتنغيم في التراث العربي د. عليان الحازمي، ص ٧.
- (2) انظر جهد المقلّ لساجقلي زاده، ص ٣١٠.
- (3) أخرجه غير واحد من أصحاب فضائل القرآن كأبي عبيد ٣٢٥/١ رقم الحديث (٢٠٩) والفريابي، ص ٢٠٥ رقم الحديث (٢٠٥)، والترمذي ص ٦٥٧، رقم الحديث (٢٩٢٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب..» وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٠٩/١، وقال: «صحح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي، وانظر مرويات هذا الحديث بالتفصيل في شرح القصيدة لأبي مزاحم الخاقاني، ص ٩٥ والتمهيد في معرفة التجويد، ص ١٨٠.
- (4) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٧٢.

﴿١﴾ «فإنها إذا لم تحرر في الأداء ربما أوهمت أن الفاء أصلية من الكلمتين، فأوهمت أنها من «القع» و«الفقس»، لا من الوقوع والقسوة، وغير ذلك من الأمثلة التي لا يمكن أن تظهر للقارئ إلا عن طريق المشافهة والتلقي.

~ ~ ~

المبحث الثاني:

الإثارة الوجدانية

أودع الله - جل جلاله - النفس الإنسانية قوى متعددة، وتعدّ قوة الوجدان واحدة من أبرزها، وهي جملة الظواهر الانفعالية والعاطفية، كالخشية والحب والطمأنينة والاستبشار والحزن والشوق، والتي منشؤها التفكير الذي يثير صوراً من الماضي أو الحاضر أو المستقبل ويجسد فيها ألواناً من اللذة والألم^(١).

وإذا كان من وظائف اللغة التعبير عما في النفس ونقل الأحاسيس والعواطف وغيرها فإن الأداء القرآني هو أصدق بيان وأوفاه إذا جاء على النحو المتلقى من أئمة الأداء وأفواه المجودين وحذاقهم، ولهذا امتاز ذلكم الأداء بالروعة التي تلحق قلوب سامعيه^(٢).

وقد ذكر الله تعالى صوراً من التأثر الوجداني التي جاشت لسماع القرآن حين لامس شغاف قلوبها وتحركت مشاعرها وفاضت مدامعها، فقال تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا النَّبَأَ مَنصُورًا مِمَّا قُتِلُوا نَبَاهُ يَوْمَئِذٍ أَجْزَلٌ وَأَلَمَ أَشَدَّ أَلَمًا﴾ (٣)،

(1) انظر المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، ص ٦٦٠، والنبأ العظيم للدكتور محمد

عبدالله دراز، ص ١١٣.

(2) انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣٨٤/١.

(3) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

«قال عبدالله بن عروة بن الزبير: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتتشعر جلودهم كما نعتهم الله»^(١).

كما تمثلت تلك الصور في شخص الرسول عليه الصلاة والسلام في أكمل أحوالها وأبلغ معانيها، وما بكاؤه - عليه الصلاة والسلام - وهو يستمع إلى قراءة ابن مسعود (ت ٣٢هـ) - رضي الله عنه - إلا من ذلك القبيل، فعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «اقرأ عليّ»، قال: قلت اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري»، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: أو أمسك، فرأيت عيناه تذرفان»^(٢). والله أعلم بالحالة التي استغرقت قلبه عليه الصلاة والسلام لما استمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - حتى قال عليه الصلاة والسلام: «لو رأيتني وأنا استمع إلى قراءتك البارحة»^(٣)، قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): «..... وعلى هذا المعنى تحمل هذه الأحاديث التي ذكرناها في حسن الصوت،

- (١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
- (٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة، ص ٢٠٧.
- (٣) سورة النساء، الآية: ٤١.
- (٤) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب فضائل القرآن»، ص ٩٠٥، رقم الحديث (٥٠٥٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم «كتاب صلاة المسافرين وقصرها»، باب فضل استماع القرآن، ص ٣٢٣، رقم الحديث: (١٨٦٧).
- (٥) أخرجه مسلم في «كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به»، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ص ٣٢١، رقم الحديث: (١٨٥٢).

إنما هو طريق الحزن والخوف والتشويق، يبين ذلك حديث أبي موسى أن أزواج النبي استمعن قراءته فأخبر بذلك فقال: لو علمت لشوقت تشويقاً أو حبرت تحبيراً»^(١).

وقال محمد بن حسين الأجرى (ت ٣٦٠هـ): «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ويتباكى ويخشع قلبه، ويتذكر في الوعد والوعيد، ليستجلب ذلك الحزن»^(٢).

ومما سبق يتبين أن الإثارة الوجدانية غاية مطلوبة ومحمودة في أداء القرآن الكريم، ثم إن التلاوة إذا عريت منها ضعف وقعها على السامع، وأمست آلية خاوية من النبض الروحي، والقرآن روح، كما قال تعالى: ¼ يترجمه لا آلة تقدمه.

إن القرآن الكريم قد حوى ألواناً شتى من المعاني الوجدانية، فكم تضمن من معاني الهيبة والإجلال والتعظيم والاستبشار والتخويف والتهيب والتشويق والاسترحام والاستعطاف والحث والتحريض والتودد والترجي والتلطف والتعجب والاستنكار والتوبيخ والتندم والتلهف والعزة والإباء وغير ذلك مما يصعب حصره، وليس من فقه الأداء أن تتلى تلك المعاني جميعاً على نمط واحد، فما يناسب الاستبشار والسرور لا يناسب

(1) فضائل القرآن ومعلمه وآدابه، ص ٣٣٣.

(2) أخلاق حملة القرآن، ص ٧٩.

(3) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

التخويف والترهيب، وهكذا يقال في كل غرض من تلك المعاني.
والله تعالى قد يسر لنا أساليب فهم القرآن الكريم بما تكفل به من حفظه ورسمه وبيان معانيه، وحسن أدائه واحد من السبل التي تناسب الوجدان وتبعث الحياة في القلوب بما تثيره من معاني العظمة والجلال ومشاعر المحبة والرجاء، وتكبح النفس عن النوازع الخبيثة بما تلهبها به من سياط الوعظ والتخويف.

وما أروع القارئ وأفقه حين يحاكي أسلوب القرآن في أدائه، «فإن كان سياق الكلام ترجية بسط وإن كان تخويفاً قبض، وإن كان وعداً أبهج، وإن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة حذب^(١)، وإن كان زجراً أروع، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان تغريباً شوق»^(٢).

ويصف برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) حال الراسخ في العلم من قراء كتاب الله تعالى فيقول: «وليستعنى على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِي السَّمْعَ حَذْبًا﴾^(٣)، وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف»^(٤).

- (1) «حذب فلان على فلان يحذب حذباً فهو حذب، وتحذب، تعطف وحنا عليه» اللسان لابن منظور، كتاب البناء، فصل الحاء ٣٠١/١.
- (2) البرهان في علوم القرآن ٤/١.
- (3) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
- (4) البرهان في علوم القرآن ١٨١/٢.

إن تأثر القلب وتفاعله مع التلاوة من المقاصد المهمة في قراءة القرآن الكريم؛ لأنه ملك الأعضاء، فما أجدر التالي لكتاب الله تعالى بروم هذا المقصد وتفقدته عند كل تلاوة، والعناية به من خلال ما منحه الله تعالى من المعاني الروحية، والقدرات الصوتية التي هي لسان الانفعال الصوتي ليهز المشاعر، ويثير الشجاء، ويجدد النشاط، ويهيج النفوس للإقبال على كتاب الله تعالى وفهم معانيه والعمل بها، ولا جرم أن الأداء هو الأداة المؤثرة في القلوب، وذلك بأن يتأثر القلب بآثار مختلفة بحسب اختلاف مقاصد الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والاستبشار والرجاء، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد يتضاءل من خيفته ويستعيز من عذاب الله، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر ويسأل الله من فضله، وعند ذكره الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار وجعلهم الله سبحانه ولداً وصاحبة يغض صوته ويكسر في باطنه قبح مقالته، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها^(١)، ذلك هو المنهج السديد في تلاوة القرآن الذي يأسر القلوب ويأخذ بالألباب ويلهب المشاعر ويهيج الأحاسيس ابتغاء مرضاة الله، فعن جبير بن مطعم (ت ٥٧هـ) - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ نَسِيَتْهَا﴾^(٢)، قال: «كاد قلبي أن يطير»^(٣).

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ١/١٨٥.

(٢) سورة الطور، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب التفسير»، «سورة الطور»، ص ٨٥٩، رقم الحديث (٤٨٥٤)، ورواه ابن عبد البر في التمهيد ١٤٩/٩ بلفظ: فسمعه يقول ويقرأ

ويجدر التنويه هنا بما أثر عنهم من ترديد القارئ الآية مرات كثيرة، وما ذلك إلا استحضار لعظمة المتكلم تعالى وتدبر لكلامه سبحانه وتقدس^(١)، فقد ثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام قام بآية من القرآن يرددها حتى أصبح^(٢)، كما ثبت عن غير واحد من الصحابة والتابعين أنهم فعلوا مثل ذلك^(٣)، وربما كان ذلك بسبب الاستحواذ المعنوي للنفس حتى سيطر عليها وكأنه أوقف المرور إلى الآية التي بعدها للاشتغال بكثرة المعاني التي فيها فلم يستطع القارئ المتدبر في رحابها الانتقال إلى مشاهد أخرى، ويدل على ذلك ما ذكر عن بعضهم أنه قال: «إني لأفتح السورة فيوقفني بعض ما أشاهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر»^(٤)، وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أنني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها»^(٥)، وعن بعض السلف أنه مكث ستة أشهر يرددها متدبراً ولا يفرغ من قراءتها^(٦).

فهذه الأحاديث والآثار وما تقدم بيانه كله يدل على العناية الفائقة من لدن سلف الأمة بالغاية الوجدانية في تلاوة القرآن الكريم وحسن الاستماع إليه عملاً بقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَجْرُوا اللَّهَ فَيَسُخَطَ عَلَيْكُمُ اللَّهُ وَيَكْفُرَ بِكُمْ كَمَا كَفَرَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٧).

وذلك هو الوجد الحق، وهو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى، والشوق

- (1) انظر التغني بالقرآن للبيب السعيد، ص ١٠٣.
- (2) أخرجه أحمد في مسنده ٣٥/٣٠٩، رقم الحديث: (٢١٣٨٨)، والترمذي في سننه، ص ١١٩، رقم الحديث: (٤٤٨) وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه».
- (3) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد، ص ٣١٤.
- (4) إحياء علوم الدين للغزالي، ١/٢٨٢.
- (5) المصدر السابق والمرشد الوجيز لأبي شامة، ص ٢٠٩.
- (6) انظر المصدرين السابقين وزاد المعاد لابن القيم ١/٣٤٠.
- (7) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

إلى لقائه، وذلك ما يهيج بسماع القرآن^(١)، وأما ما نقل من وجد الصوفية ومن حذا حذوهم من الزعيق وتعاطي أحوال المجانين والمجون بزعم الوجد والخشوع^(٢) عند سماع القرآن الكريم فذلك عن المنهج الحق بمعزل، وعلماء الأداء منهم براء، ولا سيما ما يكون في المآثم التي هي بدعة ومخالفة لمنهج السلف الصالح.

بل إن تلك الأصوات المنكرة والحركات المستبشعة معدودة عند القراء من العيوب الفظيعة في النفس، وقد عد منها ابن البناء (ت ٤١٧ هـ) الزحف والتنقل من جلسة إلى خلفها والجهر الصاعق وغيرها^(٣).

وحقيقة الإثارة الوجدانية إنما هي نفسية، وربما ظهر شيء من آثارها الحسية على القراءة، لكن يجب أن يقيد ذلك بما ثبت عن منهج السلف في تلاوة القرآن الكريم، فذلك يكفل سلامة الأداء، ويحميه من النشاز، ومن الأمور المحدثثة في التلاوة، وحيث إن تلك الغاية منشؤها من الأحاسيس الصادقة فإن جماع الإثارة الوجدانية خشوع القلب الذي أشرفت على أقطاره أنوار الهداية الربانية وتجلت له عظمة الواحد الديان، فمن وفق لذلك فقد هدي إلى تحقيق تلك الغاية المحمودة، وكان لقراءته الأثر الطيب على نفسه وعلى الآخرين.

~ ~ ~

-
- (1) انظر إحياء علوم الدين ٢/٢٩٦.
 - (2) انظر جمال القراء للسخاوي، ١/١١٠، والتذكارات في أفضل الأذكار للقرطبي، ص ١٣٢.
 - (3) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص ٣٦.

المبحث الثالث:

الروعة الجمالية

لئن تعددت مفاهيم الجمال لدى الفلسفات الشرقية أو الغربية فإن الجمال صفة مدح وكمال، وبما أن القرآن الكريم أفضل الكتب المنزلة وأكملها إذ جعله الله مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، فالجمال متأصل فيه على أرقى صورته وأجمل أشكاله لفظاً ومعنى ظاهراً وباطناً. ويحظى الأداء القرآني بنصيب كبير من الصور الجمالية التي تكاد تسلب العقول وتأخذ الأبواب وتستحوذ على الأسماع، وتغري على اتباع ما تضمنه من الهدى والنور والبرهان المبين.

ويصف د. محمد عبدالله دراز (ت ١٣٧٧هـ) المسحة الجمالية للأداء القرآن بقوله: «فإذا اقتربت بإذنك قليلاً قليلاً، فطَرَقَتْ سمعك جواهر حروفه خارجة من مخرجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس وآخر يحتبس عنده النفس، وهلم جرّاً، فتري الجمال اللغوي.. من هذه الخصوصية والتي قبلها تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني، وليس الشأن في هذا الغلاف إلا كشأن الأصداف مما تحويه من اللآلي النفسية، فإنه جلّت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يُغشَى جلائل أسرارهِ بأستار لا تخلو من متعة

وجمال، ليكون ذلك من عوامل حفظها وبقائها بتنافس المتنافسون فيها وحرصهم عليها، انظر كيف جعل باعثة الغذاء ورابطة المحبة قواماً لبقاء الإنسان فرداً وجماعة، فكذاك لما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم قضت حكمته أن يختار لها صواناً يحببها إلى الناس بعذوبته، ويغريهم عليها بطلاوته، ويكون بمنزلة (الحداء) يستحث النفوس على السير إليها، ويهون عليها وعناء السفر في طلب كمالها، لا جرم أن اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القلب العذب الجميل، ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبداً في أفواه الناس وآذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق وحاسة تسمع»^(١).

إن غاية الروعة الجمالية للأداء القرآني ذات أهمية كبرى في مقاصد الأداء وتلبسها أجمل حللها، فتأسر الأسماع وتستحوذ على نبض القلب حسب المشاهد التي تبديها.

ولا شك أن إبراز جمال الأداء القرآني مرهون بكيفية أدائه وتوفر مقوماته وغاياته، فتلك روافد الروعة الجمالية التي يستقي منها الجانب الجمالي للقرآن الكريم عبير روحه وجزالة لفظه واستقامة معناه، بينما إذا عريت التلاوة منها أمست التلاوة أشبه بالصورة الباهتة الألوان، ومن ثم يقل الإعجاب بها ويضعف تأثيرها.

وإذا كانت لوحة الرسام لا تعتمد على الألوان فحسب، وإنما يبدو

(1) النبأ العظيم، ص ١٠٤.

جمالها فيما ترمز إليه من المعاني والمفاهيم، فكذلك تلاوة القارئ لا تعتمد على حسن الصوت فحسب، وإنما يبدو جمالها في حسن الأداء المتقن المعبر عن المعاني، بحيث توفى فيه الحروف حقوقها ومستحقاتها مخرجاً وصفة، وتُعمَل فيه كل مقومات الأداء الإيمانية والنفسية والمعرفية والصوتية^(١).

وعنوان الغاية الجمالية وتاجها المعاني، فلا جرم الأخذ بكل ما يسهم في إبرازها يضفي على القراءة وقاراً وجلالاً ويكسوها بهاء وجمالاً، ألا ترى أن الوقف والابتداء تبوءا مكانة عالية في علم الأداء، واعتُبرا «حلية التلاوة، وتحلية الدراية وزينة القارئ»^(٢)، وما ذاك إلا لأهميته البالغة في بيان المعاني والكشف عن خبيئتها^(٣).

وإذا كان لترداد الآية مدلولاتها الوجدانية فإن لتردادها أيضاً مدلولاتها الجمالية، وإلى ذلك أشار الإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) بقوله:

وخير جليس لا يُملّ حديثه

وترداده يزداد فيه تجملاً

قال الإمام أبو شامة في شرحه على هذا البيت: «أي يزداد القرآن بالترداد تجملاً، لما يظهر من تلاوته ونوره وحلاوته وفصاحته، أو يزداد

(١) سبق الحديث عنها فيما مضى من هذا البحث.

(٢) الكامل في القراءات الخمسين للذهلي (٨١/ب).

(٣) سيأتي في المبحث التالي - إن شاء الله - بيان وجوه الوقوف والابتداء في إبراز المعاني.

القارئ بالترداد تجملاً، لما يقتبس من فوائده وأدابه وجزيل ثوابه»^(١).
لقد عني علماء الأداء بتلك الغاية من جميع وجوهها، والتحذير من كل ما يناكدها، وقد أشار ابن البناء (ت ٤٧١هـ) - رحمه الله - إلى جمل كثيرة، ومنها قوله في آداب القارئ: «وليكن في هيئته عند جلوسه وتلاوته على أجمل ما يراه، مبايناً لما ذكرناه وأشباهه، مما لا يرضاه، فهو لحاله أفضل وفي جماله أنبل»^(٢)، وذلك منهم - يرحمهم الله - غاية في العناية بالجانب الجمالي؛ لأن في جمال هيئة القارئ دليلاً على توقير ما يؤديه من كلام رب العالمين، وذلك لون من ألوان الجمال والجلال.
ومنها قوله - رحمه الله: «أحمد الأشياء عاقبة، وأسدها ثاقبة، وأعدلها طريقة، وأجملها خليفة هو المضيء على سنن واحد يقبله الغائب والشاهد، لا تمضيغ ولا تضييع ولا تمطيط ولا تقطيع»^(٣)، وفي هذا تحذير من المبالغة في كفيات الأداء التي تخرجه عن أصوله، وتشكل الحجب دون متعة جماله ورونقه المحبب إلى النفوس.
وذلك يقتضي من القارئ أن ينتقل بين الحروف بلطف، ويشير إلى المعاني بشفافية، ويتدرج في الدرجات الصوتية المنبئة عن الدلالات التصويرية برفق، وبذلك يكسو تلاوته حلاوة وطلاوة ويكسبها البهجة والمتعة إلى كل من استمع إليها.
وأخبار القراء في التحذير من التكلف والتعسف كثيرة جداً، ومنها ما

(1) إبراز المعاني من حرز الأمانى، ص ١٧.

(2) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص ٣٧.

(3) المصدر السابق، ص ٣٩.

ذكره الحافظ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) في سياق حديثه: «والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها، فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع، وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروه معيب من أخذ به، وقد حدثني الحسين بن علي البصري، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا ابن مجاهد، حدثنا محمد بن عيسى المقرئ، حدثنا محمد بن يزيد، قال سمعت أبا بكر بن عيَّاش يقول: إمامنا يهمز $\text{هـ} \text{هـ} \text{هـ}$ »^(١). فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته يهمزها»^(٢). قال الإمام مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) معلقاً على هذا الخبر: «يريد أنه كان يتعسف في اللفظ بالهمزة، ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها»^(٣).

وكان الإمام حمزة الزيات (ت ١٥٦ هـ) أحد القراء السبعة يقول: «إن لهذا التحقيق منتهي ينتهي إليه، ثم يكون قبيحاً، مثل البياض له منتهي ينتهي إليه، وإذا زاد صار برصاً»^(٤).

فما سبق يدل على اهتمام القراء بالجانب الجمالي للقراءة، والزجر عما يشوه الأداء القرآني، حتى ولو كان بقصد التجويد والتحقيق، إذ المقصد الأسمى من التجويد والتحقيق تزيين القراءة للإغراء على الإنصات إليها والعمل بما فيها من الهدايات.

~ ~ ~

- (1) سورة البلد، الآية، ٢٠، وسورة الهمزة الآية: ٨.
- (2) التحديد في الإتقان والتجويد، ص ١٢٠.
- (3) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص ١٤٧.
- (4) السبعة لابن مجاهد، ص ٧٦.

الفصل الثاني:

ظواهر الأداء

يحظى الأداء القرآني بشراء هيئاته وتنوعها وغنى مدلولاتها المعنوية، وتشمل ظواهر الأداء مراتب التلاوة وأساليبها، وأصول الأداء وتعدد القراءات، والوقف والابتداء، وما من وجه من تلك الوجوه إلا وله أبعاده المعنوية وأسراجه الدلالية، وذلك يحتاج إلى دراسات مستفيضة وبحوث كثيرة للوقوف على الجوانب المعنوية في كل صيغة وكيفية، ولعل ما يأتي في الفقرات التالية يسهم في الإشارة إلى أسس تلك الآثار المعنوية للظواهر الأدائية.

المبحث الأول:

مراتب التلاوة وأساليبها

وهي أطر الأداء وأنماطه، وقد ذكر العلماء لها أنواعاً كثيرة، من تحقيق وترجيع وحرر وتحزين وغيرها^(١).

بيد أنها من حيث التمهّل والإسراع لا تخرج عن ثلاثة وجوه، وعلى

(١) انظر المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر لأبي الكرام الشهرزوري، ١٤٨٩/٤، والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ١٨٧.

ذلك العمل إلى هذا الوقت، وهي التحقيق والتدوير والحد، وفي ذلك يقول الحافظ ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «فإن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق وبالحد والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين مرتلاً مجوداً بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة»^(١).

بل إن بعض العلماء قصرها على وجهين فقط، حيث قال الحافظ أبو العلاء (ت ٥٦٩هـ): «ومن بعد فاعلم أن هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول إلى ضربين، أحدهما التحقيق، والآخر الحد»^(٢)، وذلك أن القارئ إذا نزل عن التحقيق مرتبة ما وقع في التدوير، وإذا تأنى في الحد ارتقى إلى مرتبة التدوير.

وهنا تبرز غاية أساسية من غايات الأداء القرآني، وهي الجانب الجمالي، حيث يؤكد علماء الأداء على الأخذ بمرتبة دون خلطها بغيرها، ولا سيما التحقيق والحد، فإن الفرق بينهما ظاهر، فإذا قرأ القارئ بعض الآيات على وجه التمهل وهو التحقيق، وقرأ بعضها على وجه الإسراع وهو الحد، جاءت تلاوته على وزن غير متعادل وترتيب غير متماثل، وذلك يتنافى والقاعدة المعتمدة عند أهل الأداء، وهي: «واللفظ في نظيره كمثل»^(٣)، فهذه القاعدة تشمل أساليب التلاوة ومراتبها، كما تشمل

(١) النشر في القراءات العشر ٢٠٥/١.

(٢) التمهيد في معرفة التجويد، ص ١٨٧، وافقه ابن أبي مريم الشيرازي في الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٥٣/١.

(٣) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص ٦٣.

الحروف أيضاً.

وقد أشار ابن البناء (ت ٤١٧ هـ) في مواضع من كتابه «بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء» إلى توجيه القارئ على المضي على سنن واحد في مراتب القراءة، ومنها قوله: «وهم على ثلاثة أضرب، فمنهم من يمضي على سنن واحد بترتيل وهو أكملها، أو يحدر وهو أسهلها، أو أن يجمع بينهما وهو أعدلها»^(١)، ومراده بـ«الترتيل»: التحقيق^(٢)، ومراده بـ«الجمع بينهما»: التدوير، وليس معناه الخلط بين الترتيل والحدر إذ يتناقض ذلك مع ما قرره في تضاعيف كتابه، ثم إن الأذن تنفر من الكلام إذا جاء على نحو متنافر في حين أن التلاوة إذا جاءت متناسقة مالت إليها النفوس وأصغت إليها الأذان، وانشرحت لها الصدور.

وفيما يلي إشارة إلى جملة من مراتب التلاوة وأساليبها وعلاقتها بالمعاني:

التحقيق:

وهو عند علماء التجويد: «عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات وتوفية الغنات وتفكيك الحروف»^(٣)، وبعبارة أخرى: «أن يؤدى كل

(١) بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء، ص ٤٧.

(٢) انظر الموضح للشيرازي، ١٥٤/١ والإيضاح للأندرابي (١/٦٧).

(٣) النشر لابن الجزري ٢٠٥/١.

حرف حقه من غير أن يخرج من حده أو يبخره عن حقه»^(١).
 وهو يستعمل في التعليم لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ وإقامة القراءة
 على وجهها^(٢).

روى أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) عن سليم الكوفي (١٨٨ هـ)
 قوله: «وقف الثوري على حمزة فقال: يا أبا عمار ما هذا الهمز والمد
 والقطع الشديد؟ فقال: يا أبا عبدالله هذه رياضة للمتعلم، قال: صدقت.

قال أبو عمرو: ولهذا المعنى الذي ذكره حمزة - رحمه الله -
 يُرخص في المبالغة في التحقيق من يرخص من الشيوخ المتقدمين والقراء
 السالفين لترتاض به ألسنة المبتدئين، وتتحكم فيه طباع المتعلمين، ثم
 يُعرَّفون بعد حقيقته ويُوقَّفون على المراد من كلفيته»^(٣).

فالتحقيق وسيلة إلى تصحيح الألفاظ واستقامتها على النهج الأقوم، إذ
 لا سبيل إلى حقيقة المعنى إلا بتحقيق الألفاظ على أصولها، ولهذا جاء عن
 الإمام حمزة (ت ١٥٦ هـ) - رحمه الله - أنه قال: «إنما أزيد على الغلام
 في المد ليأتي بالمعنى»^(٤).

والتحقيق هو أعلى المراتب من جهة التاني والتؤده، وليس فوقه إلا
 التعسف والإفراط في التمثيط والمبالغة في إشباع الحركات، وذلك وأمثاله

(١) الإيضاح للأندرابي (١/٦٦).

(٢) انظر شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص ٩٢، والنشر لابن الجزري ٢٠٥/١.

(٣) التحديد للداني، ص ٩١.

(٤) الإقناع لابن البادش ٤٧١/١ والتحديد للداني، ص ٧١.

مخرج للتحقيق عن غاياته، ومفسد لرونق التلاوة وحسن الأداء، فما أبعد هذا التعسف من إبراز المعنى، وما أبلغه من صارف عن مواصلة الاستماع إلى منتطه.

الترتيل:

«مصدر من رتل فلان كلامه: أتبع بعضه بعضاً على مُكث وتؤدة، والاسم منه الرتل، والعرب تقول تُغر رتل إذا كان متفرقاً»^(١).

وهو قدر زائد على التحقيق، ولهذا قال العلماء: «كل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً»^(٢)، حيث يشتركان في التأي والتؤدة، ويزيد الترتيل بالعناية بالتدبر والتفكير والاستنباط^(٣)، إذ الغاية من التؤدة في الترتيل بيان المعاني، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٤)، «معناه: بيّنه تبييناً»^(٥)، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٦)، «معناه التبيين والتفسير»^(٧)، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٨)، قال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: «يقول: لتقرأه على الناس على تؤده، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك»^(٩)،

- (١) التحديد للداني، ص ٧١.
- (٢) النشر في القراءات العشر، ٢٠٩/١.
- (٣) انظر شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص ٩٢، والمصدر السابق.
- (٤) سورة المزمل، الآية: ٤.
- (٥) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ٥٣.
- (٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.
- (٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٨/٦.
- (٨) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.
- (٩) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ١٧٩/١٦.

ثم قال الإمام الطبري: «قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ الْكُفْرَانُ﴾: قال التفسير، الذي قال الله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ الْكُفْرَانُ﴾: تفسيره.

ويظهر أن المقصود بالتفسير في معنى هذه الآيات التفسير الأدائي، المتمثل في التأيي في القراءة المفصحة عن المعنى، وليس المقصود التفسير المعروف وهو شرح الآيات وبيان المراد منها.

وقد جاء التفسير الأدائي في تلاوة الرسول عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة، منها ما روي أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يفسر ويرتل إذا قرأ^(١)، ويشهد لهذه الرواية ويوضحها ما جاء في وصف قراءة الرسول عليه الصلاة والسلام بأنها كانت مفسرة حرفاً حرفاً^(٢).

فالترتيل هو أفضل المراتب حيث جاء في التنزيل وحُفظ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو الذي تتمثل فيه كل غايات الأداء في أكمل صورها، قال برهان الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازل، فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم، وينبغي أن يشتغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ به لسانه، فيعرف من كل آية معناها»^(٣).

«واستحباب الترتيل للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد

-
- (1) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص ٩٥.
 - (2) سبق تخريجه فيما سبق عند آخر الدلالات التصويرية.
 - (3) البرهان في علوم القرآن، ٤٥٠/١.

تأثيراً في القلب»^(١).

وبذلك يتضح أن مفهوم الترتيل هو أوثق المراتب بالمعنى وأن إبراز المعاني فيه بمنزلة الروح من الجسد.

ولقد استحبه العلماء حتى للأعجمي الذي لا يفهم معناه^(٢)، وذلك أن الترتيل تتجاوب معه المعاني القريبة والبعيدة، ومنها معاني الوجدان والجمال التي امتاز بها أداء القرآن لتشمل الأعجمي والعربي، فلا جرم أن القرآن الكريم إذا رتل حق ترتيله عم تأثيره على كل من سمعه.

الترجيع:

وهو تقارب ضروب الحركات في الصوت، نحو آ آ آ، وهو نوع من التغني الجائز، وهو نوع من الترتيل، إلا أنه يزيد عليه بهذا القدر من التغني، وحمله بعض العلماء على تكرار الآية أو بعضها^(٣).

وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ومنها ما جاء عن «شعبة، عن معاوية بن قرة المزني عن عبدالله بن المغفل المزني، قال: رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح على ناقه له يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح، قال فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل، وقال لولا أن يجتمع الناس عليكم

(1) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، ٣٥٥/٢.

(2) انظر المصدر السابق.

(3) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٠٢/٢، وجمال القراء للسخاوي، ٥٢٦/٢. وفتح الباري لابن حجر ١١١/١٩.

لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال: آ آ ثلاث مرات»^(١)، وورد عن أم هانئ - رضي الله عنها - بنت عم الرسول عليه الصلاة والسلام بإسناد صحيح أنها قالت: «كنت أسمع صوت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ - وأنا نائمة على فراشي - يرجع القرآن»^(٢).

وقد أبان الشيخ محمد أبو زهرة عن المعاني التي تضمنها الترجيع في قوله - رحمه الله: «فهذه الآثار كلها تدل على أنه - عليه السلام - أباح التغني بالقرآن، وأباح ترجيع الكلمات مترنماً بمعانيها مردداً لها بترديد ألفاظها، كما يفعل الأديب عند ترديد بيت من الشعر أدرك معناه واستطابه، فرده استحساناً له، ولجودة التعبير وسلامته، وكما فعل -

(1) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب ذكر النبي x وروايته عن ربه، ص ١٣٠١، رقم الحديث: (٧٥٤٠) ورواه مسلم بنحوه في صحيحه، باب كيف قراءة النبي x سورة الفتح يوم فتح مكة، ص ٣٢١، رقم الحديث: (١٨٥٣). وقيل إن الترجيع منه x يوم الفتح كان بسبب هزّ الراحلة، وقد أباه المحققون، فقال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في زاد المعاد ٤٨٣/١ بعد ذكرها هذا الحديث: «وإذا جمعت هذه الأحاديث إلى قوله: (زينوا القرآن بأصواتكم) وقوله: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وقوله: (ما أذن الله لشيء كأنه لنبي حسن الصوت يتغن بالقرآن)، علمت أن هذا لو كان لأجل هزّ الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليتأسى به، وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول كان يرجع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً».

(2) أخرجه غير واحد بألفاظ متقاربة، ومنهم أبو عبيد في فضائل القرآن، ص ٣٤٢، رقم الحديث (٢٥٤)، وأحمد في مسنده ٤٧٥/٤٤، رقم الحديث: (١٣٤٩)، وأبو العلاء الهمداني في التمهيد في معرفة التجويد، ص ١٧٠، وذكره ابن حجر في فتح الباري ١١١/١٩.

عليه السلام - عند ترجيعه: ﴿(١)﴾ (١) « (١) ، فإن ترديد ذلك في عام الفتح إنما هو من شكر المنعم به، وهو استذكار للانتقال من الضعف إلى القوة، ومن الفتنة في الدين إلى جعل الكلمة العليا لدين رب العالمين.

وإذا كان الترجيع ليس إلا ترديداً للمعنى وتذوقاً له واستطابةً واعتباراً به، فكذا يكون التغني الذي استحسنته النبي عليه الصلاة والسلام؛ إذ أن العرب الذين كانوا يقرؤون القرآن كانوا على علم بأساليب البيان، ومعاني الفرقان، فكانوا يترنمون بالألفاظ ترجيعاً لمعناها، وتذوقاً لجمالها، واستحساناً لأسلوبها.

وعلى ذلك يكون تحسين القراءة بالصوت الجميل الغرض منه أن يسهل على السامع فهم المعنى وتذوقه، وإدراك جمال الأسلوب، وجمال الألفاظ» (٢).

ولقد شدد العلماء فيما يتعلق بترجيع القرآن الكريم والتغني به، ووضعوا لذلك معايير دقيقة، وهي عدم الخروج عن حدود التجويد، وأن لا يكون التغني لمجرد النغم من غير نظر إلى المعاني (٣)، وأن لا يكون مشابهاً لترجيع الغناء المنافي للخشوع الذي هو مقصود التلاوة (٤)، ولهذا

-
- (١) سورة الفتح، الآية: ١.
 - (٢) مقال التغني بالقرآن الكريم في مجلة كنوز الفرقان، العدد الثامن، ص ١٩.
 - (٣) انظر لطائف الإشارات للقسطلاني، ٢١٦/١، والمرجع السابق، ص ٢٠.
 - (٤) انظر فتح الباري لابن حجر ١١١/١٩.

نصّ العلماء - رحمهم الله - على منع القراءة بالترعيد والترقيص والترطيب، أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضرباً كأنه يرتعد من برد أو ألم، وأما الترقيص فهو أن يروم السكوت على الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة، وأما التطريب فهو أن يتنغم بالقراءة ويترنم بحيث يزيد في المد في موضع المد وغيره (١).

واختلف في القراءة بالألحان، وقد سبق الحديث عنها في المقومات الصوتية بما يغني عن إعادة ذكرها هاهنا.

التحزين:

هو أن يترك القارئ طباعه وعادته في التلاوة، فيأتي بالتلاوة على وجه آخر يخفض النغمة كأنه حزين، وهذا منعه العلماء، لما فيه من الرياء، ومشابهة النوح، وضعف الحروف (٢).

وأما ما سلم من ذلك فقد أجازته العلماء، كالإمام أحمد بن حنبل (٣) (٢٤١هـ)، بل استحبه كثير منهم، فقد قال الأجرى (ت ٣٦٠هـ): «فأحب لمن قرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ويتباكى، ويخشع قلبه، ويتذكر في الوعد والوعيد، ليستجلب بذلك الحزن» (٤)، ونقل ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) عن عبدالله بن حبيب (ت ٢٣٨هـ): فيما نقله عن مطرف بن عبدالله (ت

(1) انظر الإقناع لابن الباذش ٥٥٦/١، والمصباح الزاهر للشهرزوري، ١٤٩٩/٤.

(2) انظر المصدرين السابقين.

(3) انظر زاد المعاد لابن القيم ٤٨٥/١.

(4) أخلاق حملة القرآن، ص ٧٩.

٢٢٠هـ) وابن الماجشون (ت ٢١٢هـ) عن الإمام مالك (ت ١٧٩هـ):
«ولا بأس أن يحزن القارئ قراءته من غير تطريب ولا ترجيع يشبه
الغناء في مقاطعه ومكاسره، أو تحزيناً فاحشاً يشبه النوح، أو يميت به
حروفه فلا خير في ذلك، وأما ما سهل منه فذلك مستحسن من ذوي
الصوت الحسن» (١).

والتحزين كالتحقيق والترجيع والحدرد إذا زاد عن حدّه انقلب إلى
ضده، فكما أن التحقيق إذا بولغ فيه صار تشدقاً ممجوجاً من الآذان،
والترجيع إذا أطلق له العنان صار أشبه بالغناء المنافي لقدسية القرآن،
والحدرد – كما سيأتي – إذا لم يراع فيه حسن الأداء صار هذا، فكذلك
التحزين إذا أتى على وجه متماوت صار مذموماً، بينما إذا أتى وفق قواعد
التلاوة فأنعم به.

لكن لا بد من التنويه بالمعاني في كل أسلوب بحيث يأخذ كل معنى
ما يوافقه من تلك الأساليب، فلا جرم أن القراءة إذا جاءت كلها على وجه
التحزين لم توف المعاني حقها كما ينبغي.

التدوير:

وهو التوسط بين رتبتي التحقيق والحدرد، واختاره كثير من القراء

(٢).

(١) الإقناع لابن البادش ٥٥٩/١.

(٢) انظر النشر لابن الجزري ٢٠٧/١ ولطائف الإشارات للقسطلاني ٢١٩/١.

وصلته بالمعاني من حيث الجانب الجمالي فيه؛ لأنه يأتي على سنن واحد ومتتابع لا تملأه الأسماع، والقارئ به مكتنف بين رتبتين، فهو في حرز من التمطيط المفضي إلى السامة أو العجلة المفسدة للمباني والمعاني، وفي مكنة القارئ المتدبر أعمال المعاني فيه وإبرازها من خلاله.

الحد:

«أصله الحط، وكل ما حَطَّته من علو إلى سُفل فقد حدرته»^(١). وهو أن يقرأ القارئ قراءة سهلة سريعة خفيفة من غير أن يخل بأحكام التجويد وقواعد الرواية^(٢).

وهو لون متميز من ألوان الأداء يتسم بالسماحة وعذوبة الألفاظ ولطافة المعنى^(٣)، ولا سيما إذا أداه مجود ذو صوت حسن فإنه يرهف الآذان، ويملاً الوجدان وتحيي به القلوب، كما الغيث إذا تتابع نزوله وانهمر قطره.

أما إذا ضُمَّ الحدر بشيء من الترجيع والتحزين بما يناسب المعاني فناهيك عن حسنه وروعة جماله وأثره على المشاعر والأحاسيس.

والحدر مرتبة سهلة سمحة، لكن لا يتقنها إلا المهرة، فقد قيل لابن مجاهد: «من أقرأ الناس؟ قال: من حقق في حدر»^(٤)، يريد من إذا حدر لم يخل بتجويد الحروف، وقال ابن أبي مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥هـ):

(1) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ١٨٥.

(2) انظر الإيضاح للأندرابي (٦٧/أ) والنشر لابن الجزري ٢٠٧/٢.

(3) انظر الإقناع لابن البادش ٥٥٩/١.

(4) التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ١٨٩.

«ومن لم يمكنه حسن الأداء بالحدرد فلا ينبغي أن يقرأ إلا بالترتيل»^(١)، ذلك أن الحدرد مظنة إخلال بحسن الأداء، فلهذا وكرد العلماء على من أخذ به أن يراعي سلامة الأداء وصحة الحروف، وحدّروا من الإخلال بها، وفيما يلي جملة من نصوصهم في ذلك:

قال الخاقاني: (ت ٣٢٥هـ):

ودو الحدرد معط للحروف حقوقها

إذا رتل القرآن أو كان ذا حدرد

قال الداني (٤٤٤هـ) في شرح هذا البيت: «إذا كان القارئ بصيرا بالقراءة حاذقاً في علم الأصول، عالماً بالجلي والخفي منها، كثير الرياضة للسانه، مع مداومته للدرس، واستعمال اللفظ بالحروف حتى يخرجها من مواضعها، ويوفيهما حظها الواجب لها، فهو غاية في إتقان القراءة، ونهاية في تجويد التلاوة، فإذا حدرد قراءته ولم يرتلها أتى في حدرد بما كان يأتي به في ترتيله، من تمكين الحروف، وإخراجها على صفتها، واللفظ بها على حقائقها، وذلك كالألف والواو والياء اللائي ربما سقطن من لفظ القارئ عند الإسراع، واستعمال الحدرد لخفائهن.

وكذلك يفعل بسائر الحروف، يوفي كل حرف منها حقه ويخرجه من موضعه، ويلخصه^(٢) من شبيهه، ويفرق بينه وبين نظيره.

فإن كان همزة حققها من غير لكز لها ولا تليين يضعف الصوت بها،

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها ١/١٥٤.

(٢) كذا في النسخة المحققة، والأظهر: ويخلصه. ينظر في هذا البحث الدلالات التصويرية.

بل يخرجها سهلة سلسلة من غير كلفه... وكذلك سائر حروف المعجم يأتي بها على هيئتها ويلفظ بها على صفتها، فأما من لم تتحقق روايته ولا استكملت معرفته فقل ما يأتي ببعض ما ذكرناه على ما وصفناه في حال التحقيق، فضلاً عن الحذر الذي لا يتقنه إلا مخصوص ولا يضبطه إلا حاذق»^(١).

وقال ابن البناء (٤٧١ هـ): «وليحذر أن يفسد بإسراعه الحروف المأخوذ عليه رعايتها، فليس الحذر يوجب ترك ممدود ولا منون مظهر ولا مدغم، ولا مخفى»^(٢).

وقد صح عن غير واحد من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام النهي عن هذا القرآن، وهذا الإسراع المفرط المضرب بحروف القرآن الكريم، ففي الصحيحين عن ابن مسعود (٣٢ هـ) - رضي الله عنه - أنه أنكره، فقال: «هَذَا كَهَذَا الشَّعْر»^(٣)!

وعن أبي الدرداء (ت ٣٢ هـ) - رضي الله عنه - قال: «إياكم والهذابين الذين يهزون القرآن ويسرعون بقراءته، فإنما مثل ذلك كمثل الأكمة^(٤) التي لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلاً»^(٥).

- (١) شرح القصيدة الخاقانية للداني، ص ٧٨.
- (٢) بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، ص ٤٢.
- (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، رقم الحديث (٥٠٤٣)، ومسلم في صحيحه، باب «ترتيل القراءة..»، ص ٣٣١، رقم الحديث: (١٩٠٨).
- (٤) الأكمة: تل من القفّ، وهو حجر واحد. انظر لسان العرب لابن منظور، كتاب الميم، باب الهمزة: ٢٠/١٢.
- (٥) المرشد الوجيز لأبي شامة، ص ٢٠٨.

وإذا كانت مراعاة المعنى جزءاً لا يتجزأ من التجويد^(١)، فمقتضاه أن الحدر ليس خلواً من المعاني، فالحاصل أن للحدر حظه من التجويد والمعاني، والإخلال بهما أو بأحدهما إخلال بهذه المرتبة أو بكمالها، وليس ذلك في هذه المرتبة فحسب، بل في جميع المراتب، ولهذا قال أبو معشر الطبري (٤٧٨ هـ) بعد أن ذكر جملة من مراتب التلاوة وأساليبها: «وإنما تحمد الضروب كلها إذا صحبهن التجويد والتبيين والتحسين»^(٢)، ولا شك أن التبيين والتحسين من غايات المعاني السالف ذكرها.

~ ~ ~

(١) يراجع ما يختص بخصائص الأداء القرآني في هذا البحث - التجويد.
 (٢) التلخيص في القراءات الثمان، ص ١٢٣.

المبحث الثاني:

أصول الأداء وتعدد القراءات

تشكّل أصول الأداء – وهي التي عليها مدار أحكام القراءة – ظواهر ثريّة من المعاني الدلالية والجمالية والوجدانية، كما يعد تنوع القراءات وتعدد صيغها روافد غنية بتلك المعاني.

وحسن الأداء ومعاني القرآن شيئاً لا ينفصلان، أوليس عدم التقرياق في التلاوة بين الخبر والاستفهام والنفي والإثبات ونحو ذلك يحاسب عند حذاق أهل الأداء من اللحن الخفي؟^(١)، وكذلك الزيادة أو التطفيف في موازين الحروف ألا يؤديان إلى الإخلال بالمعاني المرادة؟ والله در الإمام الشاطبي حيث قال:

وهاك موازين الحروف وما حكى
جهابذة النقّاد فيها محصلا
ولا ريبة في عينهن ولا ربا
وعند صليل الزيف يصدق الابلتلا

(١) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهللي (٤/٢٤) والتمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمداني، ص ٢٣٧ والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مرير الشيرازي ١/١٥٩.

ولا بد في تعيينهن من الأولى

عُنوا بالمعاني عاملين وقولاً (١)

أما وجوه القراءات فإن بعضها يبين معنى بعض، أو يثير معنى غيره لا يضاده، فلا ريب أن تعدد القراءات مكثراً للمعاني، وذلك من وجوه إعجاز القرآن العظيم^(٢)، «ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى»^(٣).

وإذا تقرر في مقدمة ظواهر الأداء أن استقراءها وتتبعها يحتاج إلى دراسات مستفيضة فحسب هذا البحث الإشارة إلى نماذج معدودة مما هو بصده، وذلك من خلال ما يلي:

المد:

تتصرف مدّات القرآن على وجوه شتى، ويتفاضل بعضها على بعض طولاً وقصراً، وذلك على قدر مذاهب القراء واختلاف الرواة عنهم في اللفظ والأداء^(٤).

ولذلك تعدّ ظاهرة المد من أغنى أصول الأداء في صيغها ومعانيها. وإنما ثبت المد في الألف والياء والواو لخفائها، فمقصد القراء بيانها وتمكينها^(٥).

ووجوه البيان في حروف المد متعددة، فهي لا تنحصر في الجانب

- (1) حرز الأمانى ووجه التهاني (الشاطبية)، ص ٩٣.
- (2) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٥٢/١، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٥٥/١.
- (3) لطائف الإشارات للقسطلاني، ١٧١/١.
- (4) انظر المصباح الزاهر لأبي الكرم الشهرزوري ١٤٤١/٤.
- (5) انظر شرح الهداية للمهدوي ٣٠/١، والمصدر السابق، ١٤٤٥/١.

اللفظي فحسب، بل لها غاياتها الأدائية الأخرى التي جاء بها اللسان العربي المبين، حيث قال أبو العباس المهدوي (ت ٤٤٠هـ): «والعرب إنما تستعمل المد عند التطريب وتعظيم الأمور بالوعظ والتهديد وما أشبه ذلك»^(١)، وذلك يفسر ما كان يستعمله الرسول عليه الصلاة والسلام في قراءته، فعن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي عليه الصلاة والسلام فقال: كان يمدّها مدّاً»^(٢)، حيث كان يتغنّى الرسول عليه الصلاة والسلام بأشرف الكلام المشتمل على عظام الأمور في جميع سورة وآياته.

والمدّ له سمته البارزة في التغني بالقرآن الكريم التي تضيف على القراءة طلاوة وحلاوة، وقد عد بعض العلماء السبب في كثرة وقوعه في ختم الآيات وجود التمكن من التغني^(٣)، ذلك أن المدود تعطي القارئ مساحة أكبر للتغني لما فيها من امتداد في الصوت، وقابلية للترنم.

إن تنوع المدود في القرآن الكريم يعد ظاهرة جمالية عجيبة الشأن وذلك فيما تبديه من صورتين متقابلتين، أما الصورة الأولى فهي: اختلاف مقادير المد، فهذا يمد بمقدار ألف وآخر بضعفها وثالث بضعفيها، وفي مقابل هذه الصورة المختلفة الألوان تبهجنا صورة أخرى تحمل لوناً واحداً

(1) شرح الهداية ٣٠/١.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، «باب مد القراءة»، ص ٣٠٩، رقم الحديث: (٥٠٤٥).

(3) انظر لطائف الإشارات للقسطلاني، ١/١١١.

لكل نوع من المدود، وهو مقداره المحدد له، وهو ما يعرف عند القراء بتسوية المدود، عملاً بالقاعدة المشهورة: «واللفظ في نظيره كمثلته»^(١)، بحيث سوى في القراءة بين المدود كل نوع على حدة.

والمد يمكن القارئ من تصوير المعاني ويساعد على إيضاح دلالاتها المختلفة، وقد ألمح علماء الأداء إلى شيء منها فيما نقلوه من القراءات المتواترة، ومنها مد المبالغة ومد الفرق، وصلة هاء الكناية في بعض المواضع:

أما مد المبالغة ويقال له مد التعظيم فقد ورد عن أصحاب قصر المد المنفصل، حيث قرؤوا بالتوسيط في «لا» إذا وقعت قبل «إله»، نحو قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

وإنما سمي مد المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهية سوى الله سبحانه، وهذا معروف عند العرب؛ لأنها تمد عند المبالغة في نفي الشيء، وقد استحب العلماء مد الصوت بـ«لا إله إلا الله» تعظيماً لله تعالى وإشعاراً بتوحيده سبحانه ونفي ما سواه من المعبودات، ومن هذا النوع مد المبالغة بمقدار ألفين، وذلك للنفي في «لا» النافية للجنس التي للتبرئة عند الإمام حمزة (ت ١٥٦ هـ)، نحو قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣).

-
- (1) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، ص ٦٣.
 (2) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥، وسورة آل عمران، الآية: ٢.
 (3) سورة البقرة، الآية: ٢، وانظر النشر لابن الجزري، ١/٣٤٤.

التطيف في المدود الفرعية، فقد كان مشايخنا يعنون بمقادير المدود حال الإقراء عناية فائقة، كما ينبغي أن يكون الصوت في المد سالماً من الترعيد والتمطيط والتشديد^(١)، وأن يتوقى القارئ من إشراب المد الغنة والخلط بينهما^(٢)، وذلك ونحوه ناشئ من عدم مراعاة تجويد المدود.

الإمالة:

«معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة»^(٣)، وهي على مراتب مختلفة^(٤)، وذلك على حسب مذاهب القراء واختلاف النقلة عنهم في مشافهة ألفاظ الأداء.

وللإمالة مقاصد صوتية ومعنوية:

أما المقاصد الصوتية فأهمها تناسب الحركات والحروف في أصوات الأداء، ويوضح ابن مريم الشيرازي (ت بعد ٥٦٥هـ) ذلك في قوله - رحمه الله: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف التي بعدها نحو الياء، ليتناسب الصوت بمكانها ويتجانس ولا يختلف، فهذا غرضهم من الإمالة، وأما إمالتهم الألف المنقلبة عن الياء والتي في حكم المنقلب عنها فهي أيضاً لإرادة التناسب، وذلك لأنهم اعتقدوا وجود الياء في الكلمة، فكرهوا أن يقع مكانها ما هو مخالف لها فأمالوا الألف لما ذكرنا

(١) انظر الموضح في التجويد لعبدالوهاب القرطبي، ص ١٣٤.

(٢) انظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد، ص ٥٤٤.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات المكي ١/١٦٨.

(٤) انظر المصباح الزاهر لأبي الكرم ٣/٩٥٤، ٩٥٩.

من إرادة التناسب، لما في وهمهم من حصول الياء»^(١).

ويقول ابن الجزري (٨٣٣هـ) - رحمه الله - في هذا السياق: «فأرادوا أن يكون عمل اللسان ومجاورة النطق بالحرف الممال وبسبب الإمالة من وجه واحد وعلى نمط واحد... وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل. والله أعلم»^(٢).

وهذا التناسب الصوتي ليس خلوا من الآثار المعنوية، «فلا ريب أن الإمالة تغني الكلمة بشفافية وحنو ولين وانسيابية لها وقع جمالي خاص»^(٣).

والمعول عليه عند القراء في الإمالة وغيرها النقل، بيد أنه لا يمنع من التماس العلل والبحث عن وجوها الصوتية والمعنوية في مرتعها الخصب وفضاءاتها الواسعة، ولنضرب على ذلك مثلاً بما جاء في توجيه قراءة أبي عمرو البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا بِهَا﴾^(٤)، حيث قرأ بالإمالة في (أعمى) الأولى، وبالفتح في الثانية متبعاً للرواية فيما اختاره ومشعرأً بالفرق بين المعنيين، ووجه

(1) الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢٠٩/١، وينظر ٢١١/١ من هذا المصدر.

(2) النشر: ٣٥/٢.

(3) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم لنذير حمدان، ص ٢٠٥.

(4) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

ذلك أن الثاني عنده أفعل التفضيل، فكأن ألفه لم يقع طرفاً لافتقاره إلى (من) المقدره، وساغ ذلك؛ لأنه من العمى المجازي، وهو عمى القلب، دون الحقيقي الذي هو عمى العين، فلهذا بنى أفعل منه، أي أن من كان جاهلاً للحق في الدنيا فهو في الآخرة أجهل وأضل»^(١).

الوقوف على أواخر الكلم بالروم والإشمام (الإشارة):

المقصود بالروم عند القراء النطق ببعض الحركة، وأما الإشمام فهو عندهم ضم الشفتين بعد الإسكان من غير تصويت^(٢)، وكلاهما لا يضبطان إلا بالتلقي على مهرة القراء.

وكلاهما معمول بهما عند أهل الأداء بشروط مفصلة^(٣).

وقد علل الوقف بذلك الإمام - خلف بن هشام البزار (ت ٢٠٩هـ) أحد القراء العشرة في قوله: «لأن الذي يقرأ على من يتعلم منه إذا قرأ عليه فأشتم الحروف في الوقف علم معلمه كيف قراءته لو وصل، والمستمع أيضاً غير المعلم يعلم كيف كان يصل الذي يقرأ»^(٤)، قال أبو جعفر ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ): «والقراء يؤثرون الروم على الإشمام لأنه أئبئ منه»^(٥).

- (1) إبراز المعاني من حرز الأمانى لأبي شامة، ص ٢١٩.
- (2) انظر القواعد والإشارات في أصول القراءات للحموي، ص ٥١، والنشر لابن الجزري ١٢٠/٢.
- (3) انظر الإقناع لابن الباذش ٥٠٨/١، والنشر لابن الجزري ١٢٢/٢.
- (4) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٣٨٦/١.
- (5) الإقناع في القراءات السبع ٥٠٨/١.

واهتمام القراء بالإشارة إلى الحركة سواء أكانت روما أم إشمأماً له دلالاته القيمة في دقة النقل وبيان المعنى، إذ المعنى فرع الإعراب وقد فصل شيخ القراء ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فائدة الوقف بالروم والإشمام بما لا مزيد عليه، وذلك في قوله - رحمه الله: «قالوا: فائدة الإشارة في الوقف بالروم والإشمام هي بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه ليظهر للسامع أو للناظر كيف تلك الحركة الموقوف عليها، وهذا التعليل يقتضي استحسان الوقف بالإشارة إذا كان بحضرة القارئ من يسمع قراءته، أما إذا لم يكن بحضرة أحد يسمع تلاوته فلا يتأكد الوقف إذ ذاك بالروم والإشمام؛ لأنه غير محتاج أن يبين لنفسه، وعند حضور الغير يتأكد ذلك ليحصل البيان للسامع، فإن كان السامع عالماً بذلك علم صحة عمل القارئ، وإن كان غير عالم كان في ذلك تنبيه له ليعلم حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل، وإن كان القارئ متعلماً ظهر عليه بين يدي الأستاذ هل أصاب فيقره أو أخطأ فيعلمه، وكثيراً ما يشتبه على المبتدئين وغيرهم ممن لم يوقفه الأستاذ على بيان الإشارة أن يميزوا بين حركات الإعراب في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(١)، و﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٢)، فإنهم إذا اعتادوا الوقف على مثل هذا بالسكون لم يعرفوا كيف يقرؤون (عليم) و(فقير) حالة الوصل هل هو بالرفع أم بالجر وقد كان كثير من معلمينا يأمرنا فيه بالإشارة، وكان بعضهم يأمر بالوصل محافظة على التعريف به وذلك حسن لطيف. والله

(1) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(2) سورة القصص، الآية: ٢٤.

النفس والوجدان ما لا يبلغه كلام آخر خالٍ من مثل هذا النسيج المتفرد^(١).

~ ~ ~

(1) انظر الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم لنذير حمدان، ص ٢٠٧.

المبحث الثالث:

الوقف والابتداء

يحظى الوقف والابتداء في أداء القرآن الكريم بعلاقة وطيدة بالمعاني، «ولا مرية أن بمعرفتها تظهر معاني التنزيل، وتعرف مقاصده، وتستعد القوة المفكرة للغوص في بحر معانيه على درر فوائده»^(١).

ومن ثم فقد حظي الوقف بعناية فائقة من لدن العلماء، فقال أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): «من لم يعلم الوقف لم يعلم ما يقرأ»^(٢).

وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبهاً على المعنى ومفصلاً بعضه عن بعض، وبذلك تلذ التلاوة ويحصل الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية»^(٣).

وقال أبو الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «وصحّ بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين، وصاحبه الإمام نافع بن أبي نعيم وأبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي وعاصم بن أبي النجود وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة

(1) لطائف الإشارات للقسطلاني ٢٤٩/١.

(2) الكامل في القراءات الخمسين للهنلي (٨١/ب).

(3) جمال القراء، ٥٥٤/٢.

في الكتب، ومن ثم اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء» (١).

وأنواع المعاني التي يثيرها الوقف والابتداء متعددة بحسب مقاصدها وفوائدها، ودور الوقف والابتداء من حيث المعاني لا يخفى، إلا أنه يمكن أن تنتظم أهم معالمه في الأمور التالية:

- إيضاح المعاني وتمييزها.
- معرفة مقاصد القرآن الكريم.
- إلهاب الفكر في تدبر القرآن الكريم.
- إثارة المعاني التشويقية.
- إبراز الصورة الجمالية.
- إظهار إعجاز القرآن الكريم.

إيضاح المعاني وتمييزها:

يعد بيان المعاني المحور الأساسي لقضية الوقف والابتداء في أداء القرآن الكريم، إذ هو الوسيلة الفاعلة في سرعة وصول المعاني إلى فهم الآخر ولهذا أكد العلماء على القارئ الحرص «على أن يفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، ويكون وقفه عند كلام مستغن أو شبيهه، وأن يكون ابتدأه حسناً» (٢).

(1) النشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.

(2) القطع والانتناف للنحاس ٩٧/١.

وقد بنيت أقسام الوقوف والابتداء على الاعتبار باللفظ والمعنى في جميعها دونما استثناء، وذلك ما نجده جلياً في أنواع الوقوف الرئيسة، وهي التام والكافي والحسن والقبیح (١).

فالوقف التام هو الذي ليس له تعلق بما بعده لا لفظاً ولا معنى، ولذلك يحسن الوقف عليه والابتداء بما يعده، وأكثر ما يقع في أواخر السور وتام القصص (٢).

والوقف الكافي هو الذي له تعلق بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ، ويكون في «كل كلام قائم بنفسه مستغن بعامل ومعمول فيه» (٣)، مثل الوقف على ﴿ ۝١٤٠﴾ و ﴿ ۝١٤١﴾ في قوله تعالى: ﴿ ۝١٤٠﴾ (٤)، ومنه ما يتأكد استحباب الوقف عليه لبيان المعنى المقصود، «وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد» (٥)، نحو قوله تعالى: ﴿ ۝١٤١﴾ (٦)، «لئلا يوهم التبويض للمفضل عليهم، والصواب جعلها جملة مستأنفة فلا موضع لها

- (1) انظر جمال القرآن للسخاوي ٥٦٣/٢.
- (2) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ٢٢٥/١.
- (3) المكتفى في الوقف والابتداء للداني، ص ١٤٤.
- (4) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
- (5) انظر النشر: ٢٢٨/١.
- (6) المصدر السابق، ٢٣٢/١.
- (7) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

من الإعراب»^(١).

والوقف الحسن ما تعلق بما بعده لفظاً ومعنى، «وهو الذي لا يحتاج إلى ما بعده؛ لأنه مفهوم دونه، ويحتاج ما بعده إليه لجريانه في اللفظ عليه»^(٢)، مثل الوقف على لفظ الجلالة «الله» في سورة الفاتحة ¼
 حيث يجوز الوقف هنا؛ لأن المراد مفهوم، لكن لا يجوز الابتداء بـ: ¼؛ لأنه تابع لما قبله
 وكذلك كل وقف حسن فإنه «في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه»^(٣)،
 دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي»^(٤)، ويحسن ملاحظة الوقف الحسن عند ضيق النفس، بحيث يراعى تحري الوقف عليه، فإنه إذا لم ينتبه لذلك ربما انقطع به النفس على وقف قبيح، وقد قال العلماء: «من تجاوز الوقف وقف في غير الوقف، أي انقطع نفسه في غير الوقف»^(٥)، مثال ذلك لو علم القارئ أن نفسه سينقطع قبل نهاية الآية من قوله تعالى: ¼
 أن يقف على ¼ ثم يستأنف من هذا الموضع: ¼، إذ لو لم يقف على ذلك فإن نفسه سينقطع به على إحدى الكلمات التالية والوقف عليها من قبيل القبيح.

- (1) النشر في القراءات العشر ٢٣٢/١.
- (2) جمال القراء للسخاوي ٥٦٣/٢.
- (3) انظر المكتفى للداني، ص ١٤٥.
- (4) النشر في القراءات العشر ٢٢٦/١.
- (5) جمال القراء ٥٧١/٢.
- (6) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

والوقف القبيح هو الذي لا يفهم منه المراد نحو الوقف في سورة الفاتحة على «^(١)»، وهذا النوع لا يُتعمد الوقف عليه - إلا للضرورة من انقطاع نفس ونحوه - إما لنقص المعنى أو لفساده، فنقص المعنى نحو المثال السابق، وفساده أو تغييره نحو الوقف على قوله تعالى: «^(٢)» وينبغي الاحتراز من البدء القبيح أيضاً عند انقطاع النفس، حيث يتأكد حال الرجوع مراعاة البدء الحسن، مثل أن ينقطع النفس على «^(٣)» من قوله تعالى: «^(٤)»، بل يُبدؤ بما يحسن قبله، على أن الوقف على «^(٥)» أصلاً غير مناسب؛ لأنه من القبيح، بل يحسن الوقف على ما قبله كما تقرر آنفاً عند الحديث عن الوقف الحسن.

وإذا تنازع اللفظ والمعنى في وقف فإن بعض العلماء يرى تغليب المعنى دفعاً للإيهام ودفعاً للبس، ويطلقون على هذا النوع وقف البيان أو وقف التمييز^(٥)، ويمثلون له بالوقف على «^(٦)» لأن التسبيح لا يكون إلا الله عز وجل فلو وصل لأوهم اشتراك الرسول عليه الصلاة والسلام فيه، ونحو ذلك من الوقف.

- (1) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٣٥٢/١.
- (2) سورة البقرة، الآية: ٢٦، وانظر جمال القراء ٤٦٤/٢.
- (3) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
- (4) انظر جمال القراء ٥٦٥/٢.
- (5) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهندي (٨١/ب) والمقاطع والمبادئ الكبير للهمداني: الكتاب الخامس، الباب الرابع (نسخة غير مرقمة) وجمال القراء للسخاوي ٥٧١، ٥٦٧/٢.
- (6) سورة الفتح، الآية: ٩.

وهذا النوع يشير إلى عناية القراء بإبراز المعنى من خلال الوقف، والحق أنه لا يمكن الفصل بين اللفظ أو الإعراب والمعنى، إذ يتعذر تضادهما، وذلك أن المعنى متفرع من الإعراب، ولذلك لا تجد مثلاً مما مثلوا به إلا وكان الوصل فيه هو الصحيح، ففي المثال المذكور قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «معطوف على ما قبله قد حذفت منه النون للنصب، فكيف يتم الكلام على ما قبله»^(١)، وذلك يقتضي الوصل من جهة نحوية ومعنوية وبلاغية أيضاً؛ لأن هذه الآية من قبيل اللف والنشر، كما هو مقرر في فن البديع^(٢)، فغاية ما يقال في هذا المثال ونحوه إنه من الوقف الحسن المذكور آنفاً.

إن ظاهرة الوقف ذات أثر بالغ في بيان المعاني والكشف عنها، إذ من المعاني ما هو مختبئ في أكنافها، ولا يتبدى للسامع إلا من خلالها، ومنها تلك المعاني المحذوفة التي يُعبر عنها بالوقف، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) «حيث الوقف على (جاءهم)، لأن خبر (إن) محذوف، أي لا يخفون علينا، أو يلقون في النار، بدلالة ما قبله»^(٤).

(١) القطع والانتناف للنحاس ٦٧٠/٢.

(٢) اللف والنشر «عبارة عن ذكر الشئيين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقيد ثم يوفى بما يليق بكل واحد منهما تكالفاً على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق» الطراز ليحيى العلوي ٤٠٤/٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٤) علل الوقف للسجاوندي ٩٠٣/٣.

وثمة وجوه كثيرة من مظاهر إيضاح المعاني وتمييزها من خلال الوقف والابتداء، وهي منشورة في تضاعيف مؤلفات هذا العلم ومعمول بها لدى مشايخ الإقراء.

معرفة مقاصد القرآن الكريم:

يسهم الوقف والابتداء في تجلية مقاصد القرآن الكريم، وهي ما اشتملت عليه سور القرآن الكريم من الموضوعات والقضايا من توحيد وبعث ونبوات وقصص وأحكام وأخلاق وآداب ونحوها، ففي نهاية كل سورة وموضوع أو قصة وقف تام في تضاعيفها تكمن الوقوف الكافية والحسنة.

وقد نوّه العلماء – رحمهم الله – بهذا الجانب لما له من أثر كبير في إيصال معاني القرآن إلى الأفهام، فقال ابن الطحان (ت بعد ٥٦٠هـ): «فبإحسان الوقف تتبدّى للسامع فوائده الوافرة، ومعانيه الفائقة، وتتجلى للمنتجع مقاصده الباهرة، ومناحيه الرائعة»^(١)، وقال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «ففي معرفة الوقف والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده، وبه يتهيأ الغوص على درره وفوائده»^(٢)، وقد كان ذلك محل عناية الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، فقد روى أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) عن التابعي الجليل

(1) نظام الأداء في الوقف والابتداء، ص ٢٠.

(2) جمال القراء ٥٥٣/٢.

في كل يوم^(١).

وقد حمل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) على التجزئة بالحروف في مناقشة طويلة، ومما جاء فيها: «أن هذه التحزيبات المحدثثة تتضمن دائماً الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئاً بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، وأمثال ذلك، ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض - حتى كلام المخاطبين - حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤)، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي... والذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاوزين، فكيف يسوغ أن يفرق هذا التفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرق في التلقين ونحو ذلك»^(٥).

فالحاصل أن فهم مقاصد القرآن الكريم عامل مهم في تدبر آياته، وأن الوقف والابتداء هو عنوانها ودليلها.

- (1) المكتفى في الوقف والابتداء، ص ١٣٥.
- (2) سورة النساء، الآية: ٢٤.
- (3) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.
- (4) سورة الكهف، الآية: ٧٥.
- (5) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤١١/١٣.

إلهاب الفكر في تدبر القرآن الكريم:

إن تحري الوقوف ومراعاتها في معاني القرآن الكريم ومقاصده لا يحصل إلا بأعمال الفكر في تفهم أي الذكر الحكيم والإبحار في محيطات معانيها، لاستخراج لبابها في أداء حسن يأخذ بالألباب، ويذكي جذوة الفكر. ولذا كانت معرفة الوقف والابتداء سمة العلماء، ومنقبة القراء، فهذا أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) إمام البصرة في اللغة العربية والقراءات صلى بجامع البصرة ستين سنة بالتراويح وغيرها فما وقف إلا على حرف تام^(١).

وفي هذا الصدد يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) «فقد صار في معرفة الوقف والانتناف التفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أن يتفهم ما يقرأ ويشغل قلبه به»^(٢).

كما ينبغي أن لا يعتمد إلا ما لا يرتضيه المتقنون من أهل الأداء وعلماء العربية والتفسير، فليس كل ما يذكر من المعاني وما يترتب عليها من الوقوف يمكن أن يعمل به، بل يجب الاحتراز من الأقوال الشاذة والغريبة والوقفات المتعسفة التي يابها السياق القرآني ولا تستند إلى نص صحيح ولا إلى رأي سديد، ولقد حذر العلماء منها أشد التحذير، وذكروا

(1) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٢٠/١.

(2) القطع والانتناف للنحاس ٩٧/١.

لها أمثلة كثيرة^(١)، ومن ذلك قوله: «يَقِفُ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَيَتَدَنَّوْنَ عَلَيْهِ»^(٢)، يجعلون (بزعمهم) المقسم عليه: «يَقِفُ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَيَتَدَنَّوْنَ عَلَيْهِ»، وليس على ذلك أحد من أهل العربية والتفسير علمته، وإنما المراد: لا تشرك بالله، ثم استأنف فقال: «يَقِفُ عَلَيْهِ قَوْمٌ وَيَتَدَنَّوْنَ عَلَيْهِ».

ومن ذلك الوقف على قوله عز وجل: «وَالْبَتَّةَ وَالسَّجْنَاطِيَّاتِ»^(٣) والابتداء بقوله عز وجل: «أَيُّ عَظِيمٍ وَجَدْتَهَا، وَهَذَا لَيْسَ بِكَلَامٍ جَيِّدٍ، وَفِيهِ إِخْرَاجُ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْمُرَادِ: فَأَحْذَرُوهُ، وَلَهُ نَظَائِرٌ لَا تَخْفَى عَلَى ذَوِي التَّحْصِيلِ»^(٤).

وإنما تنبغي العناية بالوقفات الصحيحة، وما أغنى كتاب الله بها لمن تدبرها، ولنضرب على ذلك مثلاً بقوله تعالى: «وَالْبَتَّةَ وَالسَّجْنَاطِيَّاتِ»^(٥)، حيث الوقف على «كلا» الأولى؛ لأنها على الردع عن الإرادة، أي لا يؤتى صحفاً منشرة، بينما لا يوقف على «كلا» الثانية؛ لأنها بمعنى حقاً^(٦)، فذلك وأمثاله يدل على تدبر لكتاب الله تعالى، وفيه من الآثار

- (1) انظر جمال القراء للسخاوي ٥٨٩/٢ والنشر لابن الجزري ٢٣١/١، ولطائف الإشارات للقسطلاني ٢٦٥/١.
- (2) سورة لقمان، الآية: ١٣.
- (3) سورة النمل، الآية: ٢٣.
- (4) جمال القراء: ٥٩١/٢.
- (5) سورة المدثر، الآيات: ٥٢ - ٥٤.
- (6) انظر علل الوقوف للسجاوندي ١٠٦٤/٣ وشرح كلا وبلَى ونعم لمكي، ص ٤١.

الطيبة على المستمع ما يعينه على تفهم كتاب الله ويلهب فكره في التعرف على معانيه.

إثارة المعاني التشويقية:

إن وقف القارئ على الآية يثير شوق المستمع إلى ما بعدها، إذ هو بمثابة البيان لها أو نحو ذلك من أنواع المعاني التي يشتاق السامع إليها بعد الوقف على ما قبلها في سائر الكلام، فكيف إذا كانت في كلام الله تعالى، فلننصت إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (٩) «^(١)، أفلا يُشتاق إلى تفاصيل هذا الحديث ويُترقب ما بعد هذه الآية إذا وقف عليها القارئ، في حين أن ذلك لا يحدث لو وصلت في نفس واحد مع ما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ «^(٢)، ثم لنواصل الإنصات إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٠) «^(٣)، فسنجد الاشتياق يعاودنا لمعرفة ما أوحاه الله جل جلاله إلى نبيه موسى - عليه السلام - وذلك لا يكون إلا بالوقوف على ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾.»

ومن هذا القبيل الوقف على البشائر إذا توالفت لما تحدثه من سرور في نفس المؤمن حينما تزف إليه البشائر الأخرى تلو سابقتها، والوقف على كل واحدة منها يعبر عن ذلك، ومنه الوقف على كل آية من قوله

-
- (1) سورة طه، الآية: ٩.
 - (2) سورة طه، الآية: ١٠.
 - (3) سورة طه، الآية: ١٣.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَارْتَدُوا عَلَى أَرْجُلِكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا سَبْعًا مِّنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّهُ سَبَّحَ بِحَمْدِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

وكانك بالقارئ والمستمع حين الوقف على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (٢)، ليهتاج حين الشوق إلى تطلب ذلك المعروض المرموق، أفليس لهذا الوقف وقع على الأسماع والقلوب وهي تتربقب الجواب الرباني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (٣).

وما أسعد القارئ ساعة الوقف عند آيات الدعاء مستعيزاً أو سائلاً الله من فضله يتربقب إجابة ربه قبل أن ينتقل إلى الآية الأخرى أو الجملة التي تليها، إنها لمن أسعد اللحظات حين يقف القارئ تلك الوقفات بخشوع متشوقاً إلى مناجاة ربه وهو يجيب سؤاله، ففي الحديث الصحيح: «عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (٤) قال: دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «قولوا: سمعنا وأطعنا

(1) سورة الدخان، الآيات: ٥١ - ٥٧.

(2) سورة الصف، الآية: ١٠.

(3) سورة الصف، الآية: ١١.

(4) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

«وسلمنا» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ لِنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِهِ وَلِيُعَلِّمَكَ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ﴾ (١) (٢)، قال: قد فعلت: ﴿وَإِذْ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ لِنُبَيِّنَ لَكَ آيَاتِهِ وَلِيُعَلِّمَكَ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ﴾ (١) (٢)، قال: قد فعلت.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا مر بآية فيها تسبيح وقف فسبح، وإذا مر بآية فيها سؤال وقف فسأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ (٣).

إبراز الصورة الجمالية:

قال أبو القاسم الهذلي (ت ٤٦٥ هـ): «هذا القرآن نزل باللغة العربية، والوقف والقطع من حليتها، فإن الوقف حلية التلاوة، وتحلية الدراية، وزينة القارئ، وبلاغة التالي، وفهم المستمع، وفخر للعالم» (٤).

وأجمل صور الوقف تلك التي تكون على رؤوس الآي، فإنها من أجمل محسنات الأداء، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): «فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن تلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر

- (1) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
- (2) «أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ..»، ص ٦٧، رقم الحديث: (٣٣٠).
- (3) انظر الحديث بطوله في صحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ص ٣١٥، رقم الحديث: (١٨١٤)، وأخرجه الإمام أبو عبيد في فضائله من روايات متعددة وبألفاظ متقاربة ٣١٢/١.
- (4) الكامل في القراءات الخمسين (٨١/ب).

وبالأسجاع في الكلام المسجوع... ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه! فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالثر، وإن إلغاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة، ومن السذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق فيكون مضيعاً لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته» (١).

وما ذكره الشيخ محمد الطاهر من المقارنة إنما هو على وجه التقريب والتوضيح، إذ رؤوس الآي خصّصي لهذا الكتاب العظيم، وليست القوافي والأسجاع في روعة جمالها وحلاوة أدائها.

ثم إن الوقوف على رؤوس الآي سنة مأثورة، ولذلك اختار المحققون الوقف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها، وفي ذلك إظهار لمقاصدها والتي منها هذه الصورة الجمالية، ومنها المعاني التشويقية كما سبق ومنها إظهار إعجازه كما سنأتي الإشارة إليه بعد هذا، قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ): «ومما ينبغي له أن يقطع عليه رؤوس الآي لأنهن في أنفسهن مقاطع وأكثر ما يوجد التام فيهن لاقتضائهن تمام الجمل، واستيفاء أكثرهن انقضاء القصص وقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع عليهن وإن تعلق كلام بعضهن ببعض»، ثم روى «عن أم سلمة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا قرأ قطعاً قرأته آية آية يقول:

(1) التحرير والتنوير ٧٦/١.

ثم يقول: «ثم يقف ثم يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَدَايِ﴾»، ثم يقف ثم يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَدَايِ﴾ (4)»^(١).

ومظاهر الجانب الجمالي التي يحدثها الوقف والابتداء معتبرة عند علماء الأداء، وهي معدودة عندهم من وجوه كمال المعاني وأدوات التلذذ بكتاب الله تعالى، قال علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ): «وقد اختار العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله عز وجل وتكميل معانيه، وجعلوا الوقف منبهاً على المعنى ومفصلاً بعضه عن بعض، وبذلك تلذذ التلاوة»^(٢).

إظهار إعجاز القرآن الكريم:

تجسد ظاهرة الوقف والابتداء وجوها عديدة من الإعجاز القرآني، حيث تكشف عن المعاني القريبة والبعيدة للقرآن الكريم، وإذ تقرر أن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه فإن الوقف والابتداء قد أخذ بحظ وافر في إبرازها.

ولقد حث العلماء على مراعاة الوقف والابتداء لإبراز إعجاز القرآن الكريم، فقال شيخ القراء ابن الجزري (٧٣٣هـ): «لما لم يمكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة

(1) المكتفى في الوقف والابتداء، ص ١٤٦ والحديث المذكور في سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات، ص ٥٦٦، رقم (٤٠٠١) والترمذي أيضاً في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ، ص ٦٥٧ رقم الحديث: (٢٩٢٣)، وذكره ابن الجزري في النشر ٢٢٦/١ وقال: «حديث حسن وسنده صحيح».

(2) جمال القراء ٥٥٤/٢.

الوصل، بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة، وتحتم ألا يكون ذلك مما يجيل المعنى، ولا يخل بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته»^(١).

ومن وجوه الإعجاز التي تتناول الوقف والابتداء تعدد المعاني بتعدد الوقف، ورؤوس الآي.

أما تعدد المعاني بتعدد الوقف: فهو على غرار إعجاز تعدد المعنى بتعدد القراءات، وذلك من كمال الإيجاز ونهاية البلاغة، إذ تنوع المعنى مع اتحاد الكلمات^(٢)، ويمكن التمثيل لذلك بما ذكره الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾^(٣) «كان من قبيل إيجاز الحذف، أي لا ريب في أنه الكتاب، فكانت جملة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾ ابتداء كلام، وكان مفاد حرف (في) استئزال طائر المعاندين، أي إن لم يكن كله هدى فإن فيه هدى، وإن وصلت (فيه) كان من قبيل الإطناب، وكان ما بعده مفيداً أن هذا الكتاب كله هدى»^(٤).

ومن صور تعدد الوقف على حسب اختلاف المعنى أو تعدده ما في

- (١) النشر في القراءات العشر (رسالة دكتوراة) ٧٩٢/٢.
- (٢) انظر النشر في القراءات العشر ٥٢/١ والتحرير والتنوير لابن عاشور ٨٣/١.
- (٣) سورة البقرة، الآية: ٢.
- (٤) تفسير التحرير والتنوير: ١١٧/١.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَاهُتِمْ وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَاهُتِمْ﴾ (١)، حيث أورد فيها ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن أهل التفسير معنيين، ونصه: «فيها قولان:

- أحدهما: أنه قد قيل فيمن أرسل قبلك ساحر وكاهن ومجنون، وكُذِّبوا كما كُذِّبت، هذا قول الحسن وقتادة والجمهور.
- والثاني: ما تُخبر إلا بما أخبر الأنبياء قبلك من أن الله غفور وأنه ذو عقاب، حكاها الماوردي» (٢).

فعلى القول الأول يكون الوقف على: ﴿لَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَاهُتِمْ﴾ «ليدل على المحذوف، وما بعده يبتدأ به على الاستئناف، وعلى القول الثاني ليس ثمة وقف على: ﴿لَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَاهُتِمْ﴾؛ لأن ما بعده مقول القول.

وأما رؤوس الآي: فإنها من أصول الوقف والابتداء؛ «لأنهن في أنفسهن مقاطع، وأكثر ما يوجد التمام فيهن» (٣)، وهي من خصائص القرآن الكريم، إذ هي من الكلام بمثابة قوافي الشعر وأسجاع النثر، أما القرآن الكريم فقد جاء في نظمه على غرار معجز لم يسبق إليه، فأعجز بذلك العرب وأرباب البلاغة وأساطين الفصاحة عن معارضته (٤)، ولذلك عُدد عدم مراعاة الوقوف عليها تفريطاً في الغرض المقصود منها (٥).

(1) سورة فصلت، الآية: ٤٣.
(2) زاد المسير في علم التفسير: ٢٦٣/٧.
(3) شرح القصيدة الخاقانية للداني: ٢٧٧/٢.
(4) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهنلي (٢٥/ب).
(5) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٣/١.

~ ~ ~

الفصل الثالث:

دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة

كل سورة في كتاب الله يمكن إبراز معانيها إذا روعي في تلاوتها أصول أئمة أهل الأداء، والتي تمت دراستها فيما مضى من مباحث هذا الكتاب.

وقد وقع اختيار سورة الفاتحة لحاجة كل مسلم إلى تعلمها، وطلباً للاختصار، حيث يحصل بها المقصود، ويتحقق بها المراد، مما يغني نوي الأفهام عن التطبيق على سائر سور القرآن.

وعطفاً على ما سبق من المباحث فإن دراسة هذه السورة الكريمة ستكون من خلال مقومات أدائها وغاياته وظواهره، وذلك أيضاً على وجه الإيجاز إذ القصد بيان كيفية إبراز المعاني حال الأداء، دونما استطراد في تفاصيلها مما يخرج البحث عن مقصده.

فلنستمع إلى هذه السورة العظيمة بأذان واعية، ولننصت إليها بقلوب خاشعة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) الصِّرَاطَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (7) .»

يحظى قارئ سورة الفاتحة بمقومات ذات آثار على تحسين أدائها

وإبراز غاياتها وظواهرها على أحسن وجه.

وتكمن أهم تلك المقومات في التعرف على فضلها وما اشتملت عليه من شريف المعاني ونبيل المقاصد.

أما فضلها فقد ثبتت فيه أحاديث كثيرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام تنص على أنها أعظم سورة في القرآن العظيم^(١)، منها ما جاء عن أبي سعيد بن المعلّى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «نعم»^(٢)، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(٣).

وذلك يوقظ في القارئ مشاعر الإحساس بالعظمة والجلال نحو الله، وذلك في تلاوته لهذه السورة حين يرددّها أثناء الليل وأطراف النهار في أشرف أوقاته وأكمل أحواله وهو بين يدي ربه يناجيه بأعظم سورة في

(1) انظر ما ورد في ذلك مفصلاً في فضائل القرآن لأبي عبيد، ص ٢٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/١، وقد ورد في بعضها بلفظ «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني».

(2) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، ص ٧٥٩، رقم الحديث: (٤٤٧٤).

أعظم كتاب أنزله على أنبيائه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه.

وإذا وجد القارئ الإحساس بجلال عظمة سورة الفاتحة فإن ذلك سيحول بينه وبين الهدّ في تلاوتها.

وأما معانيها فإنها معين لا ينضب، وما تكرارها في كل ركعة من فريضة أو نافلة إلا لاستجلاب معانيها التي لا حصر لها، وبقدر ما يحضر المصلي بقلبه تنهال عليه المعاني من مثنائها، وأفضل ما يكشف عن معانيها السامية ما صحّ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي

نصفين، ولعبدني ما سألت، فإذا قال العبد: (2) ع ك م ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف

« قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: (3) ي - س ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف » قال الله

تعالى: أثني علي عبدي، فإذا قال: (4) ك م ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف » قال:

مجدني عبدي - وقال مرة: فوّض إلي عبدي - فإذا قال: (5) ع ك م ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف

« قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سألت، فإذا

قال: (6) م ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف » قال: (7) ع ك م ن ا ه ج و ز ح ط ي ق ر ك خ د ذ ر ن س ع ف

« قال: هذا لعبدني ولعبدني ما سألت»⁽¹⁾.

فدل هذا الحديث على أن سورة الفاتحة دعاء مشتمل على حمد وثناء

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ص ١٦٧ رقم الحديث: (٨٧٨).

وتضرع ومسألة ويشهد لذلك ما جاء في أسمائها، ومنها سورة الدعاء وسورة تعليم المسألة وسورة المناجاة^(١).

وللأدعية أسلوبها الذي يناسبها في التلاوة، حيث تقرأ على وجه الاستعطاف والتحنن والترجي.

كما أشار الحديث الشريف إلى مواطن الوقف والابتداء، وذلك عند كل آية، وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام ذلك بفعله، حيث كان يقف عند كل آية من هذه السورة^(٢).

والحاضر بقبله كلما تلا آية منها وقف يترقب جواب ربه، فإذا قال: $\text{قُلْ كُونُوا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا}$ (2) « وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله حمدني عبدي، فإذا قال: $\text{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ}$ (3) « انتظر الجواب بقوله: «أنتى على عبدي»، فإذا قال: $\text{كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}$ (4) « انتظر جوابه يمجدي عبدي^(٣)، وهكذا تتجلى المعاني المذكورة في الحديث لمن راعى الوقوف على رؤوس الآي.

وثمة نوع آخر من الوقف تضمنه الحديث الشريف، وقد نوّه به أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ونصه: «فقد تبين التمام في هذه السورة من لفظ رسول الله عليه الصلاة والسلام لأن التمام الأول هو آخر ما لله جل

(1) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٢/١، وفتح الباري لابن حجر ٥/١٨ وشرح الواضحة لحسن المرادي، ص ٣٣.

(2) سبق ذكر هذا الحديث وتخرجه في المبحث السابق عند إبراز الصورة الجمالية.

(3) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم، ص ٢٠٢.

وعز خالصاً وهو:
 «...» والتمام الثاني هو آخر ما بين الله جل وعز
 وبين عبده، وهو: «...» والتمام الثالث آخر ما سأل العبد،
 وهو: «...»^(١).

ولعل إبراز ذلك يتحقق بالوقف على نهاية كل مقطع من المواضع
 المذكورة بحصة أطول من الوقف على غيرها من بقية أي سورة الفاتحة،
 غير أنني لم أعثر على نص عن أحد أئمة أهل الأداء على ذلك، وعليه
 فينبغي التسوية بين زمن الوقوف في التلاوة تبعاً ما هو معمول به في
 الإقراء.

بيد أنه يمكن إبراز المعاني الثلاثة بأسلوب آخر، إذ مقتضى ما تمت
 دراسته في غايات الأداء المغايرة بين تلك المقاطع الثلاثة، فلا جرم ذلك
 يبرز أغراض سورة الفاتحة ومحاسن مقاصدها والتي جمعت بين براعة

(1) القطع والانتفاف ١٠٣/١، ويحسن التنبيه هنا إلى أن علماء عد الآي اختلفوا في عد
 البسمة، بعد أن اتفقوا على أن سورة الفاتحة سبع آيات بنص القرآن الكريم: ﴿...﴾
 «(سورة الحجر، الآية: ٨٧)، فمن
 عد البسمة آية - وهم أهل الكوفة ومكة - اعتبروا: ﴿...﴾ (6) و
 «(الآية السابعة، ومن لم
 يعد البسمة آية اعتبروا: ﴿...﴾ (7) و
 «(الآية السادسة، و
 «(الآية السابعة. انظر البيان في عد أي القرآن للداني،
 ص ١٣٩، والمصباح الزاهر لأبي الكرم الشهرزوري ١٥٧٩/٤ وجهد المقل لساجلي
 زاده، ص ٣١٩.

الاستهلال وحسن الانتقال وروعة الختام.

أما براعة الاستهلال فقد تمثلت في وجوه آيات الحمد والثناء والتمجيد بأسماء الله وصفاته، فذلك يقرؤه القارئ بمرتبة معتادة وقلبه ينبض إجلالاً وخشوعاً.

وأما حسن الانتقال فقد ظهر في أسلوب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٥) « وتلك تناسبها المرتبة المنخفضة حيث الأطراح بين يدي الجبار والاعتراف بالمسكنة والضراعة إليه سبحانه وتعالى.

وأما حسن الختام ففيما بقي من هذه السورة الكريمة، وهو طلب العبد الهداية من الله سبحانه، وهذه الصيغة تناسبها المرتبة المرتفعة في أولى درجاتها^(١)؛ لأنها تدل على شدة حاجة العبد إليها فهو يتلهّف في طلبها معبراً عن ذلك بهذه الصيغة من الأداء.

تلك جملة من المعاني التي إذا تدبرها القارئ جاءت قراءته على هذا النحو من المراتب الصوتية معبراً عن كل معنى بما يناسبه ومنتقلاً بين مقاطعها بشفافية وخشوع، دون خفوت متماوت ولا ارتفاع صوت مزعج ولا على وتيرة واحدة مملة.

وربما انقذ للقارئ معاني أخرى للمقاطع الثلاثة المذكورة وحينئذ فإنه يؤديها بما يناسبها من المراتب الصوتية، فقد يجول في ذهنه إعلان

(1) انظر الكشاف للزمخشري، ٦٢/١.

العبودية والاستعانة بالله ونبذ الشرك والتنديد بأهله، وذلك في ﴿سَأْتِيَنَّكَ﴾ فيقرؤها بمرتبة مرتفعة على وجه العزة، وقد ينبعث في باطنه الحياء وهو يسأل الله الهداية فيخفض صوته خجلاً من تقصيره في مقابل ما يطلبه من منحة الهداية والمداومة عليها.

ولندع القارئ يسبح في فضاءات معاني هذه السورة العظيمة ليؤديها وفق ما تفيض به من مشاهد الحضور وصور الماضي والمستقبل لينسج من ألوان تلك الصور صورة أدائية معبرة تبهر الأسماع وتنفذ إلى المشاعر وتغيث المدامع وتزيد الإيمان وتهدي إلى أحسن الأخلاق.

ولئن ظلت سورة الفاتحة تروي كل وارد بمعانيها الجامعة فإن ظواهرها الصوتية لها حظ وافر من إبراز معانيها، وذلك يقتضي العناية بحسن أدائها حسبما نقله أئمة الأداء وعلماء التجويد، فتصحيح المخارج واستكمال الصفات في كل كلمة يعطي المعنى الصحيح المراد منها، واستيفاء المدات الأصلية والفرعية والتسوية بين كل نوع منها على حدة يبرز صورة جمالية متناسقة تتنفس منها عبير الوجدان، وتحقيق الهمزات وإظهار الشدات وبيان الهاءات تتبدى به جزالة ألفاظ أدائها.

وتحسن الإشارة هنا إلى بعض الظواهر الصوتية في هذه السورة الكريمة وما ينبغي أن يحترز منه عند أدائها، لما لها من صلة وثيقة بالمعاني ومنها ما يلي:

- الاحتراز من غنّ الباء في ﴿بِئْسَ﴾، «وقد يبالغ قوم في تحقيقها والمحافظة على شدتها فيخرجونها عن حدها ويقبحون لفظها، وذلك أيضاً محذور منه»^(١).

(1) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمرادي، ص ٣٥.

- التحفظ من المبالغة في تكرير راء: ﴿٣﴾ ي-سَمِئَاتُ سَمِئَاتُ ﴿٤﴾.»
- التحفظ من إشباع كسرة كاف: ﴿٥﴾ لئلا تصير ياء، وكذا التحفظ من إشباع ضمة دال: ﴿٦﴾ لئلا تصير واوا.
- (مَلِك) و(مَالِك) قراءتان سبعيتان متواترتان، قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ): «وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين وصحة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بهما، فهما صفتان لله تعالى يتبين وجه الكمال له فيهما فقط، ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك»^(١).
- الحذر من همس دال: ﴿٧﴾ لئلا تشتبه بالتين، وكذلك الحذر من همس الطاء في: ﴿٨﴾.»
- مراعاة تشديد الياء في (إياك) في الموضعين وقد ورد التخفيف في قراءة شاذة مرغوب عنها، ويُعدّ تخفيفها من قبيل اللحن الجلي المغير للمعنى؛ لأن «إيا الشمس» ضياؤها^(٢).

(1) إبراز المعاني من حرز الأمانى، ص ٧٠، وانظر بقية القراءات الواردة في سورة الفاتحة مع توجيه معانيها في هذا المصدر وأمثاله من كتب القراءات، وينبغي التنبيه هاهنا على مراعاة أهل كل بلد بما يقرؤون به من القراءات وعدم التشويش عليهم بالقراءات الأخرى، وكذلك مراعاة أحوالهم في البسطة من حيث الجهر والإخفاء.

(2) انظر الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص ٩٢، وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمراذى، ص ٥٠.

- تخليص كاف (إياك) من (نعبد) و(نستعين) لئلا توصل بهما فتصير في الصمع كاف تشبيه: «إيا كنعبد وإيا كنستعين»^(١).
- إعطاء العين حظها من صفة التوسط في ﴿سَأْتِي﴾ لئلا تكون رخوة أو شديدة.
- إعطاء القاف أدنى درجات التفخيم في ﴿وَأَمَّا سَاءُ﴾ ؛ لأنها مكسورة، وتفخيمها فوق ذلك لا سلاسة فيه.
- نطق الغيين في ﴿سَأْتِي﴾ دون أدنى شائبة بالخاء^(٢)، ولا يخفى ما في ذلك من تغيير للمعنى، ونطق الضاد مجودة من مخرجها الخاص بها، وهو أول حافة اللسان مع ما يوليه من الأضراس، وتمييزها بالاستطالة، لئلا تشتبه بالظاء^(٣)، وكذلك في ﴿سَأْتِي﴾، ذلك أن الضاد تخالف الظاء مخرجاً وصفة واشتقاقاً وتركيباً ومعنى^(٤)، إذ «الضالين» بالضاد ضد الهدى، أي غير المهتدين بينما «الظالين» بالظاء معناه الدائمين، وهذا خلاف مراد الله تعالى^(٥).

(1) انظر جهد المقل للساجلي زاده، ص ٣١٠.
(2) انظر شرح الوضاحة للمراي، ص ٥٧.
(3) انظر الدقائق المحكمة في شرح المقدمة لذكريا الأنصاري، ص ٨٨.
(4) انظر الكشاف للزمخشري ٢٢٥/٤ وجمال القراء للسخاوي ٥٤٥/٢.
(5) انظر التمهيد لابن الجزري، ص ١٤٠ والمفيد في شرح عمدة التجويد لحسن المرادي، ص ١١٠.

تلك لمحات سريعة عن بعض الظواهر الصوتية حسبما تقتضيه طبيعة هذا البحث، وهناك استقراء واف لتجويد كل حرف من حروف سورة الفاتحة يغني عن تتبعه هاهنا^(١).

وفي ختام هذا المبحث وقفت على نصيحة نفيسة للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) - رحمه الله - في ختام تفسير سورة الفاتحة يحسن أن نختم بها هذا المبحث، حيث قال - رحمه الله: «وأنصح لك أيها التالي للقرآن في الصلاة وفي غير الصلاة أن تقرأه على مكث، وتمهل، بخشوع وتدبر، وأن تقف على رؤوس الآيات، وتعطي القراءة حقها من التجويد والنعيمات، مع اجتناب التكلف والتطريب، واتقاء الاشتغال بالألفاظ عن المعاني، فإن قراءة آية واحدة مع التدبر والخشوع، خير لك من قراءة ختمة مع الغفلة.

ومن المجربات أن تغميض العينين في الصلاة يثير الخواطر ولذلك كان مكروهاً، وأن رفع الصوت المعتدل في الصلاة الجهرية ولا سيما صلاة الليل يطرد الغفلة، ويوقظ راقد الخشية، وإعطاء كل أسلوب حقه من الأداء والصوت يعين على الفهم، ويستفيض ما غاض بطول الغفلة من شأبيب الدمع»^(٢).

~ ~ ~

(1) يراجع التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي للسعيد، ص ٢٩ وما بعدها وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة للمراذي وجهد المقل لساجقلى زاده، ص ٣١٠ وما بعدها.
(2) تفسير القرآن الحكيم، ١/١٠٤.

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

١٤٠

الخاتمة

الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله. وأرجو أن ما هدف إليه هذا البحث قد تحقق في تضاعيفه، وهو بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، ودوره في التعبير عن المعاني المقصودة في آي الذكر الحكيم وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج، ومنها ما يلي:

- الأصل في الأداء القرآني الرواية، وهي ما نقل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام، وأئمة القراء من بعدهم بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام .
- وللدراية حظها منه، بما لا يتعارض مع ما صح من الروايات.
- أكثر صيغ الأداء وهيئاتها لا تُعرف حق المعرفة بالقول والصفة، بل يوقف عليها بالرواية والمشاهدة والمشاهدة.
- يطلق الأداء على تأدية حروف القرآن وكيفياته المستقاضة وتجويده في أصوات الألفاظ وهيئاتها، ويشمل الناقل والمنقول إليه.
- ما جاء في معنى آيات الترتيل بأنه التبيين والتفسير فإنما هو

- البيان والتفسير الأدائي، لا شرح الآيات وبيان المراد منها.
- من وجوه إعجاز القرآن الكريم المسحة الأدائية التي امتازت بها حروف القرآن الكريم وكلماته لمن أداها مجودة على وجه الفصاحة ومراعاة المعاني.
 - حسن أداء القرآن الكريم مرهون بكيفيات أدائه وتوفر مقوماته وخصائصه وغاياته.
 - ظواهر الأداء من وقف ومد وقصر وغيرها كلها تجسد الصورة المعنوية الحقيقية لكل كلمة إذا أديت على الوجه الصحيح.
 - حسن الأداء واحد من سبل فهم القرآن الكريم التي تلامس الوجدان وتبعث الحياة في القلوب وتهدى إلى أحسن الأخلاق.
 - صيغ الأداء القرآنية المتعددة ألوان كثيرة ذات نسيج متفرد، وهي غاية في التناسق الصوتي المتلألئ جمالاً والممتلئ وجداناً.
 - يختلف أداء عن آخر بحسب مشاهد حضور القلب وتصوراته للمعاني القريبة والبعيدة.
 - قراءة النبي عليه الصلاة والسلام كانت أعظم المؤثرات في إيصال علمه وهدايته إلى العالمين.
 - الأداء القرآني وسيلة فاعلة في الجانب الدعوي، واستثمار وسائل الإعلام المعاصرة في إيصال أصدق كلام وأبلغ برهان إلى العالمين مطلب جد مهم.

- المقصد الأسمى من التجويد والتحقيق تزيين القراءة للإغراء على الإنصات إليها والعمل بما فيها من الهدايات.
- قبح التعسف في التلاوة والمبالغة في إخراج الحروف وصفاتها، حيث حذر الله علماء الأداء وزجروا عنه.
- تنتظم مقادير رفع الصوت وخفضه في الدلالات التصويرية في ثلاث مراتب: معتادة ومنخفضة ومرتفعة، وهذه المراتب وأمثالها من قبيل الدراية.
- من أهم عوامل بيان الدلالات التصويرية العناية بالدرجات الصوتية وتخليص الحروف والكلمات وتحرير نطقها.
- ما اتحد لفظاً ورسمياً واختلف معنى تتأكد المغايرة بينها صوتاً، مثل «لولا» التحضيضية والامتناعية.
- التنقل بين الحروف بلطف، والإشارة إلى المعاني بشفافية والتدرج في الدرجات الصوتية المنبئة عن الدلالات التصويرية برفق كل ذلك يلبس التلاوة أجمل حللها.
- الأداء القرآني أصدق بيان في إثارة الظواهر الانفعالية، وذلك إذا كان على الصفة الصحيحة المتلقاة من حذاق المجودين.
- ما نقل من وجد الصوفية ومن حذا حذوهم من الزعيق والجهر الصاعق وغير ذلك من أحوالهم كل ذلك عن منهج علماء الأداء بمعزل وهو مخالف المنهج السلف الصالح.

- ترجيع القراء والتغني بها له معايير الدقيقة المتمثلة في مراعاة المعاني وعدم الخروج عن قواعد التجويد، وعدم المشابهة لترجيع الغناء المنافي للخشوع الذي هو مقصود التلاوة.
- أن تحزين القراءة سائغ على أن لا يشابه النياحة ولا يخل بقواعد التجويد، وأن تراعى فيه المعاني.
- الحذر مرتبة سهلة سمحة، لكن لا يتقنها إلا المهرة ومن لم يمكنه حسن الأداء بالحذر فلا ينبغي أن يقرأ به.
- عدم التفريق في التلاوة بين الخبر والاستفهام والنفي والإثبات ونحو ذلك معدود عند حذاق أهل الأداء من قبيل اللحن الحفي.
- أن جميع مراتب التلاوة لها حظها من المعاني، غير أن الترتيل بها أسعد.
- الوقف على رؤوس الآي سنة، وله مقاصد عدة، منها الإثارة التشويقية والروعة الجمالية وإظهار إعجاز القرآن.
- أن ربط الوقف بالأجزاء والأحزاب والأعشار ونحوها في الأداء مجانب للصواب، والمعتبر في ذلك مراعاة المعاني.
- للوقف والابتداء دوره الكبير في تمييز معاني القرآن الكريم وإيضاح مقاصده وإظهار إعجازه وإلهاب الفكر في تدبره وإثارة المعاني التشويقية وإبراز الروعة الجمالية للقرآن الكريم.
- كل سورة في كتاب الله يمكن إبراز معانيها ومقاصدها إذا روعي

فيها أصول أئمة أهل الأداء.

وبعد: فإن هذا البحث جهد من مقلّ معترف بالتقصير، فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله الكريم، وما كان فيه من خطأ أو خلل فهو من قلة بضاعتي وضعف جهدي، واستغفر الله وأتوب إليه.

وفي الختام أتوجه إلى الله العليّ القدير بالحمد والثناء وخالص الشكر على ما منّ به وأعان عليه في هذا البحث، وأرجو منه تعالى أن يكتب له التوفيق والقبول في الدارين، وأسأله جلّ وعزّ أن يجزي عني خيراً كل من أسهم في هذا البحث بجهد من قريب أو بعيد، فجزاهم الله بما هو أهله، هو أهل التقوى والمغفرة.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً
كثيراً.

والحمد لله رب العالمين.

~ ~ ~

*** إبراز المعاني بالأداء القرآني

أهم المراجع

- ١- الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٣٩٩ هـ.
- ٢- إبراز المعاني من حرز الأمان، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مصر، مصطفى البابي الحلبي ١٤٠٢ هـ.
- ٣- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق د. شكري فيصل، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤ هـ.
- ٤- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز الدراسات والبحوث، الرياض، مكتبة نزار الباز ١٤١٧ هـ.
- ٥- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، بيروت، دار المعرفة.
- ٦- اختلاف القراء في اللام والنون (ضمن رسالتين في التجويد للمؤلف - الرسالة الثانية)، علي بن جعفر السعيد، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار، ١٤٢١ هـ.
- ٧- أخلاق حملة القرآن، أحمد بن الحسين الأجرى، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، المدينة المنورة، مكتبة الدار،

١٤٠٨هـ.

- ٨- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي بن محمد الضَّبَّاع، القاهرة، مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي.
- ٩- إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد خالويه، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ.
- ١٠- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن الباذش، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي، ١٤٠٣هـ.
- ١١- الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق د. السيد الجميلي، بيروت، دار ابن زيدون، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ١٢- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، ١٣٩٠ هـ، دمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ١٣- الإيضاح في القراءات، أحمد بن أبي عمر الأندرابي، مخطوط مصور في جامعة الإمام في الرياض رقم ٨٧٦ / ف.
- ١٤- البحر المحيط في تفسير القرآن، محمد بن يوسف الأندلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، بيروت، دار الفكر.

١٥- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩١ هـ.

١٦- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، (ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الأولى)، تحقيق محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.

١٧- بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، الحسن بن أحمد البناء، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، عمّان، دار عمار، ١٤٢١ هـ.

١٨- البيان في عد أي القرآن، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، الكويت، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٤١٤ هـ.

١٩- البيان والتبيين، عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٢٠- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت، دار صادر، ١٣٨٦ هـ.

٢١- التحديد في الإتقان والتجويد، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د.غانم قدوري الحمد، بغداد، دار الأنبار، ١٤٠٧ هـ.

- ٢٢- التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م ، تونس،
الدار التونسية.
- ٢٣- التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أحمد القرطبي، بيروت،
المكتبة العلمية.
- ٢٤- التغني بالقرآن، لبيب السعيد، مصر، الهيئة العامة للكتاب
١٩٧٠م.
- ٢٥- التغني بالقرآن، محمد أبو زهرة، مجلة كنوز الفرقان، القاهرة،
العدد الثامن، شعبان ١٣٦٨ هـ، (ص ١٨ - ٢٣).
- ٢٦- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ١٤١٤ هـ، بيروت،
دار المعرفة.
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق عبد
العزيز غنيم و زميليه، مصر، مطبعة الشعب.
- ٢٨- التلخيص في القراءات الثمان، عبد الكريم بن عبد الصمد
الطبري، تحقيق محمد حسن عقيل، جدة، الجمعية الخيرية
لتحفيظ القرآن الكريم ١٤١٢هـ.
- ٢٩- التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق د.
غانم قدوري الحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٠- التمهيد في معرفة التجويد، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق د.

- غانم قدوري الحمد، عمّان، دار عمار، ١٤٢٠ هـ.
- ٣١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠١ هـ.
- ٣٢- التنبيه على اللحن الجلي والخفي (ضمن رسالتين في التجويد للمؤلف - الرسالة الأولى)، علي بن جعفر السعيد، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، عمّان، دار عمار، ١٤٢١ هـ.
- ٣٣- التنعيم في التراث العربي، د. عليان بن محمد الحازمي، مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى، العدد الثالث والعشرون، شوال ١٤٢٢ هـ المجلد الثالث عشر، ترتيب البحث : التاسع عشر.
- ٣٤- التنعيم ودوره في التحليل اللغوي، د. عبد الحميد السيد، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمّان، العدد الثاني، المجلد التاسع عشر (أ) رمضان ١٤١٢ هـ ترتيب البحث : الثالث.
- ٣٥- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٣٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٨ هـ.
- ٣٧- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ٣٨- جمال القراء و كمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، تحقيق
د. علي البواب ، مكة المكرمة، مكتبة التراث، ١٤٠٨ هـ.
- ٣٩- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، (المصحف المرتل)
بواعثه ومخططاته ، لبيب السعيد.
- ٤٠- جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي (ساجقلي زادة) تحقيق
د.سالم قدوري الحمد، عمّان، دار عمار، ١٤٢٢ هـ.
- ٤١- حديث الأحرف السبعة - دراسة لإسناده ومنتنه واختلاف العلماء
في معناه وصلته بالقراءات القرآنية، د.عبد العزيز بن عبد
الفتاح القارئ، الرياض، دار النشر الدولي، ١٤١٢ هـ.
- ٤٢- حرز الأمانى ووجه التهاني (الشاطبية)، القاسم بن فيره
الشاطبي، تصحيح علي الضباع، القاهرة، مصطفى البابي
الحلبي ١٣٥٥ هـ.
- ٤٣- حول فكرة تلحين القرآن، عبد الفتاح القاضي، القاهرة، مجلة
الأزهر، الجزء الأول، السنة التاسعة والثلاثون، المحرم ١٣٨٧
هـ (ص ٨٩ - ٩٢).
- ٤٤- الخصائص، عثمان بن جني الموصلي، تحقيق محمد علي
النجار، مصر، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٧١
هـ.
- ٤٥- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد،

بغداد، مطبعة الخلود، ١٤٠٦ هـ.

٤٦- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، زكريا بن محمد الأنصاري،

مراجعة الشيخ محيي الدين الكردي، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ،

دمشق، مكتبة الغزالي.

٤٧- ذكرى الشيخ محمد رفعت الـ(٣١)، مقال بقلم حسين عثمان،

مجلة الدوحة، يوليه ١٩٨١ (ص ٨٦-٨٩).

٤٨- رائية الخاقاني (القصيدة الخاقانية ضمن مجموع بعنوان :

قصيدتان في التجويد - الرسالة الأولى)، موسى بن عبيد الله

الخاقاني، تحقيق د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ، مصر، دار

مصر للطباعة، ١٤٠٢ هـ.

٤٩- رسالة في مبادئ التفسير، محمد الخضري الدمياطي، دار

البصائر، دمشق، ١٤٠٤ هـ.

٥٠- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب

القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، عمّان، دار عمار،

الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٥١- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن

الجوزي، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ،

بيروت، المكتب الإسلامي.

٥٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم

- الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٠٦هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ٥٣- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف.
- ٥٤- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، الرياض، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني)، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٥٥- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الرياض، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني)، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٥٦- سنن الترمذي (جامع الترمذي)، عيسى بن محمد الترمذي، الرياض، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني)، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٥٧- شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، بيروت.
- ٥٨- شرح الهداية، أحمد بن عمار المهدي، تحقيق د. حازم حيدر، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٦ هـ.
- ٥٩- شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. عبد الهادي الفضلي، بيروت، دار القلم.

- ٦٠- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في حسن الأداء (شرح القصيدة الخاقانية)، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق غازي بن بنيدر الحربي، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، ١٤١٨ هـ.
- ٦١- شرح كلا وبلى ونعم، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ.
- ٦٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، البابي الحلبي.
- ٦٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الرياض، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني)، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٦٤- صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري، الرياض، دار السلام (طبعة خاصة بجهاز الإرشاد و التوجيه بالحرس الوطني)، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ.
- ٦٥- الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق بسام الجابي، بيروت، ١٤١٦ هـ.
- ٦٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
- ٦٧- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، جدة، دار

المنارة، ١٤١٢ هـ.

٦٨- عقود الجُمَان في تجويد القرآن، برهان الدين إبراهيم بن عمر الجَعْبَرِي، مخطوط في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رقم ٥٩٣٦.

٦٩- علل اللسان وأمراض اللغة، د. محمد كشّاك، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٩ هـ.

٧٠- علل الوقوف، محمد بن طَيْفُور السجاوندي، تحقيق د. محمد بن عبد الله العيدي، الرياض، دار الرشد، ١٤١٥ هـ.

٧١- علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٩ هـ.

٧٢- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد الجزري، بيروت، دار الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ.

٧٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق عبد الرؤوف وزميلي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨ هـ.

٧٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين بن أبي العز الهمداني، تحقيق د. فهمي النمر و فؤاد علي مخيمر، ١٤١١ هـ، الدوحة، دار الثقافة.

٧٥- فضائل القرآن، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

٧٦- فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ والسنة في ذلك، جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

٧٧- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، القاسم بن سلام البغدادي، تحقيق أحمد الخياطي، المغرب، مطبعة فضالة، ١٤١٥ هـ .

٧٨- القطع و الائتلاف، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق د. أحمد خطاب العمر، بغداد ١٣٩٨ هـ، مطبعة العاني (وزارة الأوقاف بالعراق - إحياء التراث الإسلامي).

٧٩- القواعد والإشارات في أصول القراءات، أحمد بن عمر الحموي، تحقيق د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دمشق، دار القلم، ١٤٠٦ هـ.

٨٠- القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، محمد النويري المالكي، تحقيق عبد الفتاح السيد أبو سنة، مراجعة لجنة إحياء التراث الإسلامي بمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة (ضمن شرح طيبة النشر ص ٤٥ - ٨٨)، ١٤٠٦ هـ

٨١- الكامل في القراءات الخمسين، يوسف بن جبارة الهذلي، مخطوط، نسخة رواق المغاربة في الأزهر، رقم ٣٦٩.

٨٢- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، بيروت، دار المعرفة.

٨٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٨٤- كنزالمعاني في شرح حرز الأمانى، إبراهيم الجعبري، نسخة مخطوطة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تحت الرقم ٢٤٨٥، وكنز المعاني المحقق، وهو بعنوان : الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني مع تحقيق نموذج من الكنز، دراسة وتحقيق أحمد اليزيدي، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٨٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت، دار صادر.

٨٦- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ.

٨٧- مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيمية، جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكة المكرمة، مكتبة النهضة.

٨٨- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن

- بن إسماعيل المقدسي، تحقيق د. طيار آلتى قولاج، بيروت، دار صادر، ١٣٩٥ هـ.
- ٨٩- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة، دار التراث، الطبعة الثالثة.
- ٩٠- المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، إشراف یوسف المرعشلی، بیروت، دار المعرفة.
- ٩١- المسند، أحمد ابن محمد بن حنبل، حقق تحت إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ.
- ٩٢- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، المبارك بن الحسن الشهرزوري، تحقيق إبراهيم بن سعيد الدوسري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤١٤ هـ.
- ٩٣- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي الخليل، الأردن، منشورات جامعة مؤتة - عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ١٤١٣ هـ.
- ٩٤- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق، د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ.
- ٩٥- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٩٦- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم.

٩٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ.

٩٨- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، إشراف سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

٩٩- المفيد في شرح عمدة المجيد، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق جمال السيد رفاعي، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١٠٠- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٠١- المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، محمد بن الجزري، تصحيح أيمن رشدي سويد، جدة، جمعية القرآن الكريم، ١٤٠٧ هـ.

١٠٢- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز و جل، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق د. يوسف المرعشلي ١٤٠٤ هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٠٣- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق علي العمران، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد،

١٤١٩ هـ.

١٠٤- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، د. محمود محمد الطناحي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦ هـ.

١٠٥- الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، عمّان، دار عمار، ١٤٢١ هـ.

١٠٦- الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي المشهور بابن أبي مريم، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤ هـ.

١٠٧- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، الكويت، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ.

١٠٨- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، إشراف علي الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، والجزء المحقق من النشر، وهو بعنوان منهج ابن الجزري في كتابه النشر مع تحقيق قسم الأصول، تحقيق السالم محمد محمود، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤٢١ هـ.

١٠٩- نظام الأداء في الوقف والابتداء، أبو الأصْبَغ عبد العزيز بن

علي (ابن الطحان)، تحقيق د. علي البواب، الرياض، دار المعارف، ١٤٠٦ هـ.

١١٠- النُّكْت في إعجاز القرآن علي بن عيسى الرماني، (ضمن : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الثانية)، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.

١١١- النهاية في غريب الحديث، المبارك بن محمد ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت.

١١٢- الهادي في معرفة المقاطع و المبادي، الحافظ أبو العلاء الهمداني العطار، مخطوط، دار الكتب رقم ٥٨٥.

١١٣- وقوف القرآن و مآثره و أجزاءه و تقسيماته، محمد بن محمود السمرقندي، مخطوط في جامعة الملك سعود، رقم ٢٥٢١.

ملخص

إبراز المعاني بالأداء القرآني

يهدف هذا البحث إلى بيان الأداء الصحيح للقرآن الكريم ومقوماته وخصائصه، ودوره في التعبير عن المعاني المقصودة في أي الذكر الحكيم وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

ويكتسب هذا الموضوع أهمية من حيث ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، وتناوله جانبا مهما وحيويا في تلاوة القرآن الكريم، إذ يُعنى بمرتبة الإحسان في أدائه الجامعة بين المهارة في أداء الحروف والغوص في معانيها والتبحر في مقاصدها، وذلك بمراعاة الوقف والابتداء وحسن التعامل مع أصوات الحروف بلطف وشفافية تشعر السامع بالمعنى وتخلص إلى شغاف قلبه بأنوار الهداية.

كما تكمن أهميته في حاجة المكتبة القرآنية إلى تزويدها ببحث مستقل يختص بدراسة هذا الموضوع، فجاء هذا البحث ليُلِمَّ ما تفرق من أشتاتة ويقرب ما بُعد من شوارده مستجليا ما طُوي من الآفاق الأدائية للقرآن الكريم بعرض جديد، وفي خطوات متتدة، وعلى أساس مكين في ضوء ما انتهجه أسلافنا الأخيار دون استطراد فيما انتهى إليه الباحثون تجافيا عن التكرار قدر الإمكان.

والله وليّ التوفيق.

الفهرس

٧	أهمية الموضوع:	٧
٧	أسباب اختيار البحث:	٧
٩	هدف البحث:	٩
٩	الدراسات السابقة:	٩
١٣	خطة البحث:	١٣
١٥	التمهيد وسائل التعبير الإنساني	١٥
١٧	وسائل التعبير الإنساني	١٧
٢١	الباب الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم ومقوماته وخصائصه	٢١
٢٣	الفصل الأول: مفهوم أداء القرآن الكريم	٢٣
٣٢	الفصل الثاني: مقومات أداء القرآن الكريم	٣٢
٣٣	المبحث الأول: المقومات الإيمانية	٣٣
٣٧	المبحث الثاني: المقومات النفسية	٣٧
٣٩	المبحث الثالث: المقومات المعرفية	٣٩
٤٥	المبحث الرابع: المقومات الصوتية	٤٥
٤٩	الفصل الثالث: خصائص أداء القرآن الكريم	٤٩
٤٩	المبحث الأول التعبد	٤٩
٥١	المبحث الثاني: الإعجاز	٥١
٥٤	المبحث الثالث: التجويد	٥٤
٥٧	المبحث الرابع: التدبر والتذكر	٥٧
٥٩	الباب الثاني: غايات الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته	٥٩
٦١	الفصل الأول: غاية الأداء	٦١
٦٢	المبحث الأول: الدلالات التصويرية	٦٢
٧٢	المبحث الثاني: الإثارة الوجدانية	٧٢
٨٠	المبحث الثالث: الروعة الجمالية	٨٠
٨٥	الفصل الثاني: ظواهر الأداء	٨٥
٨٥	المبحث الأول: مراتب التلاوة وأساليبها	٨٥
١٠٠	المبحث الثاني: أصول الأداء وتعدد القراءات	١٠٠
١١١	المبحث الثالث: الوقف والابتداء	١١١
١١٢	إيضاح المعاني وتمييزها:	١١٢
١١٧	معرفة مقاصد القرآن الكريم:	١١٧
١٢٠	إلهاب الفكر في تدبر القرآن الكريم:	١٢٠
١٢٢	إثارة المعاني التشويقية:	١٢٢
١٢٤	إبراز الصورة الجمالية:	١٢٤
١٢٦	إظهار إعجاز القرآن الكريم:	١٢٦
١٣٠	الفصل الثالث: دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة	١٣٠

١٤١	الخاتمة
١٤٧	أهم المراجع
١٦٤	ملخص إبراز المعاني بالأداء القرآني
١٦٦	الفهرس

~ ~ ~